روايات غادة

الجار الغريب

مارغريت دايفر

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

روايات غادة

الجار الغريب

مارغريت دايفز

كيني رانكيز فتاة من عائلة متواضعة.. وفي حفلة اضطرت لحضورها تعرف عليها آيب غرايدي الثري والمحامي المشهور.. وما ان شاهدها حتى كان انطباعه عنها سيئاً، وعلى اساس هذه الفكرة اخذ يعاملها، خاصة أن القدر رماها الى جيرته.

الى اي مدى تستطيع تحمل اهاناته؟ والى اي مدى يستطيع هو ان يقاوم فتنتها.. انها لعبة القط والفأر مارساها بكل دقة واحتساب وماذا كانت النتيجة؟

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظماني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

ـ ١ ـ

الغريب

ـ حبيبتي.. تبدين فظيعة.. قلت لي أنك لست نشيطة تماماً، وأنك بحاجة الى بضعة شهور من الهدوء والراحة لأكمال قصتك.. فما افضل من بقاءك معنا في منزلي الصغير.. على اية حال انت ابنة اخي:

ردت كيني بمحبة:

ـ بل أنا ابنة اخيك الوحيدة.. انت على حق ابدو فعلا فظيعة. مررت يدها على شعرها الاسود الطويل الجاف، فاقد الحيويه، تنظر الى جينزها المجعد.

ـ لقد وصلت لتوي من سفر طويل، استغرق عده ايام، ولن اندهش لو ظنني الناس عمتك بدلا من العكس.

ابتسمت مارغريت ماري.. في الواقع ليست أكبر من ابنة اخيها بأكثر من عشر سنوات، فهي أصغر بكثير من والد كيني، شقيقها الوحيد.. وفي الثامنه والثلاثين، امام ثمانية وعشرين لكيني، كانت لا تزال تملك المظهر البنّاتي:

وطراز رائع اذا لم يكن مبهرج. وسبب هذا له شقان، فهي لم تنجب اولاداً وتزوجت مليونيراً عجوزاً مات الآن وترك لها الكثير من المال اكثر مما تستطيع صرفه في عمرها كله، مع أن هذا لم يوقفها عن المحاولة.

اوقفت سيارتها الجاكوار المكشوفة الصغيرة بأقل من نعومة.

- ها نحن وصلنا.. على الاقل القي نظرة على المكان.

نزلت كيني من السيارة تنظر الى المنزل المحاط بالشرفات ذو الطابقين، في ضاحية نديمة جميلة لندنية الطراز، وقالت:

- لكنني لست افهم.. هل كان هذا احد استثمارات غارت؟ لم تسكني ابدا هنا.. اليس كذلك؟ تمتمت مارجريت: - ليس تماماً..ادخلي.

بعد عشر دقائق، قالت كيني بلهجة اندواخ.

- مارج.. ما هذا؟ يبدو وكأنه عشق الحب.. انت لم..!

هزت عمتها كتفيها:

- حسناً.. لقد فعلت.

وهل عرف غارت؟

- ليس تماماً.. فكما يجب أن تتذكري. انه في احد سنوات من عمره كان... ثم، طالما اوفر له الدعم والمحبة..فأنا متأكدة إن لم يكن يتوقع مني أن اعيش دون.. اشياء.. ولا اراد ان يزعج نفسه بالتفاصيل.

قالت كيني بسخرية:

- اذن.. لا بد وانه كان، رجلاً متفهماً جداً، مارج. انت لطيفة جدا عمتي.. لكن هذا المنزل لا يناسب ذوقي.

عينا مارغريت الجميلتان نظرتا اليها نظرة تفكير:

- ربما حان الوقت اذن لقليل من التغيير.. على أي حال، ايهمك هذا كثيراً لبضعة اشهر؟ على الاقل ستكوني مرتاحة، وستقدمين لي معروفا.. بمرافقتك للمنزل... وامور كهذه.

ضاقت عينا كيني الزرقاوان وقالت:

- هل انت مسافرة الى مكان ما!

- مسافرة الى الخارج لفترة.. ولسوء الحظ انك عدت الى البلاد في الوقت الذي انا فيه على وشك الرحيل.. لكنك لم تبعثي لي بتحذير.

- اعرف، وانا آسفة.. هل انت مسافرة لوحدك؟

ضحكت مارج:

- لا..حسنا..لوحدي.. لكن، لن اكون لوحدي حين اصل.. فأنا لا اتمتع في أن اكون لوحدي.

- وماذا عن منزل تشستر؟

- عرضته للبيع، انه كبير جدا عليّ.

نظرت كيني حولها، وخطر ببالها ان هذا المنزل سيحل لها مشاكل كثيرة:

www.elromancia.com

- حسن جدا..

قاطعتها عمتها:

- اوه..وافقي.. لست ادري لماذا انت عنيده هكذا. في كل شيء اعرضه عليك! أنا قريبتك الوحيده.

- هذا لا يعني أن اعيش عالة عليك.

- ومتى فعلت هذا؟ على اي حال اشعر ببعض المسؤلية نحوك.

- لست بحاجة لهذا..

ردت بإحباط وسخط:

- بل هناك حاجة، الست جزءا من عائلة واحدة؟ ثم يجب أن تعترفي أن الطريقة التي رباك فيها ابواك كانت مجنونة! ولدت في مكان ما من افريقيا وقتلا بعدها في هزة ارضية في مكان لست ادري ما اسمه من العالم، ليس من حقهم ان يكفنا فيه اصلا.. نظرا لأن لهم ابنة.. كم من عمرك أمضيته في المدرسة الداخلية؟ سنوات؟ - هذا صحيح.. ولكنها لم تكن غلطتك.

- حسنا.. كان على الأقل يجب أن المرض اخذك منهما.. ما كانا سيوافقان.. لكن... اسمعي كيني.. لأقول الحقيقه، لقد استوعبت مؤخراً أن لدي الكثير من المال، ولا شيء غيره.. وانا الان اقدّر تلك الأشياء التي لا يستطيع مالي أن يشتريها..وانت واحدة من هذه الأشياء.. وسأحم

بسعادة كبيرة لأفعل شيئاً لك.. سأشعر انني لست وحيدة في هذا العالم.

- مارج.. حبيبتي.. طالما انا هنا، لن تكوني وحيدة.. وانا لم اقصد يوما ان اجعلك تشعرين هكذا..

- اذن، اشبعي رغبتي في هذا.. وهو لا شيء فعلاً!

- حسن جدا.. رائع! لماذا لا تنتقلين على الفور؟ سأمضي بضعة ايام قبل سفري معك.. ولا تجرؤي على الجدال.. سآخذك الى اخصائي التجميل غداً.. وهو عبقري.. فانت بكل تأكيد تحتاجينه!

ضحكت كيني:

- احب سماع هذا.. لكن، الست بحاجة لجمع اشياءك؟

- عزيزتي كيني.. مانفع «عشق الحب» اذا لم يكن مجهز تماماً؟ على فكرة، تحسن من نفس المقاس لذلك تمتعي بحريتك...

- مارج..لا.. ليس ثيابك ايضا!

- من منظر حقيبتك الوحيدة يبدو انك ستحتاجين اليها..

- لكن..

- كيني!

- اوكي..فقط الى ان اشتري ملابساً.

- سنرى.

• • •

كانتا تتناولان الطعام على طاولة المطبخ.. ولقد مر بهما يوم متعب.. في صالون اخصائي التجميل، قصت كيني شعرها الكثيف الطويل الى قصة رجالية، وخضعت الى صونا وتدليك.. ومعالجة للبشرة بالوحل، ثم الزيوت، واعتنت بيديها وجسمها، وتعلمت كيف تضع الماكياج لتبدو بنية وجهها على افضل حال، الاخصائي، السيد آنسون، اعطاها درساً في الموضه والملابس التي يجب أن ترتديها.. وفتشت مارج في خزانتها لتجد لها ما يناسبها.

قالت مارج وهي تلتقط بضع خضراوات من السلطة امامها.

- اتعلمين.. الاخصائي على حق.. ستصيبين الرجال بالجنون.. اذا لا تهملي نفسك ثانية..لماذا انت مصممة على أن لا يكون لك شأن مع الرجال؟

ارتشفت كيني قليلاً من كوب العصير ثم قالت:

- لا أظن انني مخلوقة للزواج.. أبي المجنون الذي هو شقيقك، المجنون ترك لي هذا الارث.. شهوة التجوال!

- جيد.. لكنه وجد لنفسه من تتوافق معه. امك المجنونة مثله.

- اتعلمين.. بالرغم من تحرر النساء.. لا زال من غير السهل تنظيم الأمور بالعكس.. اعني قد يستطيع الرجل جرّ زوجته معه، لكن الرجل، لا زال ضعيفا امام محاولة المرأة جرّه او تركه لوحده لمدة طويلة.. امر غريب اليس كذلك؟ ام ان هناك اشياء محددة في الحياه لا يمكن تغييرها؟

- افهم من هذا، ان تجربة مرت بك.

- اجل.. اثنتان

- وتخشين بالمرارة منهما؟

ابتسمت كيني:

- لا.. لكنني قد اجن لو ارتبطت بمغسلة مطبخ.

- قلقه إذن؟

- اجل.. مارج.. اسمعي..اقول لك كل هذا.. لكن، لا تجرؤي ابدا ي محاولة تنظيم حياتي.

بدت عمتها صورة للبراءة المجروحة:

ــ كنت أفكر فقط بحفلة راقصة...

- لا.

- إنها مساء الغد... حفل فيري راقص... نخبة مجتمع لندن ستحضره، وأنا في لجنة التنظيم.

أغمضت كيني عينيها وقاطعتها:

ــ ليس موعد دون تحضير مارج.

ــ ضحكت مارج:

- بالكاد هذا.. انه في الستين، ولا زال حزينا على فقدانه لزوجته.. لكنه رجل لطيف، وقد يكون مستعدا للتعويض عن الكثير من الحرمان..

www.elromancia.com

م انت لست بحاجة لأن تلتزمي به.. بل لمجرد اكمال العدد المزدوج.

- لا.. لن اذهب.

لكنها ذهبت.

لسوء الحظ، ولا يمكن ان تكون مارج قد حضرت هذا، نظرة واحده من الستيني الارمل وكل تفكير بخسارته الاخيرة تلاش من رأسه. وقام بكل جهده ليجلس على مائدة الطعام الى جانبها. واغرقها بالحفاوة والاعتناء، ولأنه خبير بالعالم راح يخبرها بما يعرف عن الاماكن التي زارها. وشاركها في حديث مثير للاهتمام لفترة طويله قبل أن تلاحظ انه يتصرف بغرابة بالنسبة لرجل فقد زوجته منذ مدة غير طويله.

ساعتها ارسلت اشارة استغاثة ملحة نحو مارج التي اخذتها جانبا وضحكت:

- قلت لك.

- لكن..

- ليس لوحده حبيبتي، مع انني ما كنت اشك به.. وسأقدمك الى آخرين يتوقون للقائك.

- لا..

تجاهلتها مارج وشدتها على مضض إلى الطاولة الاخرى.. لكن هذا لم ينجح، فقد لحق بها المعجب العجوز، وللساعتين التاليتين، ايما

إستدارت كانت تجده امامها يظهر للجميع جواً غير مخطيء التفسير، بالتملك.

ولتكون الامور اسوأ اغمضت عينيها بصمت متوتر مرة، وفتحتهما لتجد نفسها تحدق في عينين رماديتين ساحرتين لرجل غريب، ترك نظره بعدها يجوب بكسل على جسدها وكأنه يعريها.. وسألت كيني احدى النساء من صديقات مارج.

- من هو ذلك الرجل هناك؟

- اي منهم؟

- الذي له عينان رماديتان وشعر اسود.

- اوه حبيب انه آيب غرايدي اليس راقصاً؟

- لكن من هو؟

- الا تعرفين؟ طبعاً.. كنت مسافرة.. انه محامي لامع، وصغير بالسن، ليكون محاميا لامعا... اظنه فقط في الخامسة والثلاثين غير متزوج، لكن بكل تأكيد مرتبط.. واظنه سيلقي خطابا.. انه يقوم باعمال كثيره في محاكمنا.

والقى آيب غرايدي خطبة. ثبت انه بارع بالكلمه قدر براعته بالقانون. واستجاب المستمعون له بحماسة توقف عدة مرات وهو عائد الى مكانه. وتصلبت كيني تنتظر المحتم.. لكنه لم يحدث.. حتى مارج نظرت اليه

www.elromancia.com

متعجبة لتجاوزه طاولتها، التي هي احد طاولات اللجنة. والوحيدة التي تجاوزها. ثم جلس على طاولته. لكن بالنسبه لكيني، كانت هذه لمحة لها دلائلها وهذا ما تأكد لها حين التقت نظرتيها بعد أن استقر في جلسته، والسخرية في عينيه لم تتغير.

من يظن نفسه؟ وتظهر انها لم تتأثر به رفعت له كأس العصير بتحية ساخرة، ثم استدارت الى معجبها العجوز.

في اليوم التالي كيني في فراشها، تثائبت.. الساعة الآن العاشرة، وتجد صعوبة في النهوض من السرير.. وتقدمت مارج منها:

- كيني..آسفة جدا حول ما جرى ليلة امس.

- مارج سامحتك.

- اذن..اكملنا مناقشة كل شيء. اليس كذلك؟

جانب عمتها العملي، ابرز هذا الصباح المفاتيح، جمع المهملات، للسيدة التي تأتي اسبوعيا للتنظيف كل هذا تم بحثه.

ردت كيني متثائبه مرة اخرى:

- كل شيء.. وماذا عن الجيران؟ ايعرفونك؟

- بالكاد.. ما عدا تلك السمينة العجوز عبر الشارع اظنها تجلس خلف الستائر طوال النهار او المنزل المجاور، بيع مؤخراً. ولا فكرة لي من يسكنه الآن. واظنهم من الطبقة المرتفعة.. ولقد ارتفعت القيم هنا واصبح

لمكان ممتازا للسكن يا كيني.

- اصدقك.. لماذا لا تدعني أودعك في المطار؟

- قد يحرجك هذا حبيبتي.

- اوه.. مارج.. هذه الرحلة ليست رحلة خلاف من قديم واستقبال الجديد.. صحيح؟

- بالضبط.

- انت حقاً..

- اعرف.. لكن حين اصبح في الاربعين ساصطلح. انحنت تقبل ابنة اخيها:

- والآن.. لا تجهدى نفسك بالعمل كثيراً.

ذلك اليوم لم تعمل كيني ابدا في كتابها.. بل امضت اليوم كله تنظم الغرفة المجاورة كغرفة مكتب، ودراسة..وحضرت بعض الطعام، وقامت ببعض التسوق الغذائي، ولاحظت الشاحنة المقفلة تنقل الاثاث الى البيت المجاور، ونظرت الى ملابسها مليا قبل أن تقرر أن مكتبا لتقبل التبرعات للفقراء لا يقبل بها.

وهي تجلس لتناول الطعام لوحدها وجدت نفسها تفكر به ثانية، وتساءلت اي نوع من النساء يعجبه، وكيف تكون ردة فعله لو عرف حقيقتها.

www.elromancia.com

وهي لا تزال تفكر صعدت الى الطابق الاعلى، الى الحمام الفضي والازرق الرائع حيث تمتعت بحمام فوار، ومرة اخرى دلكت نفسها باحد سوائل التجميل العطرة من مجموعة مارج. ثم لفت نفسها بالروب الازرق الحريري، ونزلت الى الصالون تفتش عن آلة التسجيل المخبئة خلف ستار غريب.

استراحت فوق اريكة صفراء، تحتسي شايا ماليزيا معطرا، حين قرع جرس الباب.

جلست مقطبة، ثم هزت كتفيها..

كان آيب غرايدي يقف خارج الباب، وقط سيامى رمادي غاضب تحت إبطه.

- اسف للازعاج.. لكنني كنت اتساءل ما اذا كان هذاالقط لك ثم اضاف بسخرية:

- رائع جدا.. مدهشا ان التقي بك ثانية.. كيف حالك.. لقد انتقلت الى البيت المجاور اليوم.

سقط فك كيني ذهولا.. سقط بالتواء مفتن لجسده، استفاد من الموقف ليخلص نفسه وينفس عن غضبه في نفس الوقت.. وقفز من آسره الى كيني. الني التقطته بحركة انعكاسية، تتلقى منه الخربشة.. وبحركة مذهولة. اخرى.. ركض المخلوق الى الصالون، وتسلق قاعده رخامية، ليوقع عنها تمثالا من الخزف. وقع بدوره على الطاولة التي وضعت كيني

عليها الشاي، لتحطم الفنجان، وتحطم نفسها. وجلس القط على القاعدة مكان التمثال يحلس شعره.

لحقت كيني به، تتمتم لاعنه، ثم التفتت من نور كتفها تصيح:

- لا.. انه ليس قطي.. وهذا التمثال من الخزف الصيني القديم، والفنجان والصحن هما بكل تأكيد.. ما بالك؟

لم يرد آيب غرايدي، بل دارت نظرته في المكان وبداه في جيبيه، ثم صفّر بنعومه ونظر اليها.

- اهذا ما افكر به؟ سألته بيرود..

- وبماذا تفكر؟

اخفق نظره الى جسمها تحت الروب الحريري الازرق:

- خطر لي ليلة امس ان تكوني صيادة رجال من الطراز الاول.. ولكن هذا، ارفع بكثير من كل توقعاتي.

ابتسم بخبث:

- اين هو.. شريكك؟ هل عاد الى زوجته ليقضي الليل؟ قبل أن ترد عليه الرد الملائم، رن جرس الباب مرة اخرى، وقفز القط يختبء خلف كرسي، فقالت من بين اسنانها:

- لا تلمسه..

ومرت من امامه وجرس الباب يرن ثانية. كان هناك شاب مرح يرتدي

www.elromancia.com

ثوب السائق وفي يده مفاتيح سيارة.

— من...؟

- ثم التفتت لترى سيارة مارج الحمراء الجاكوار متوقفة عند الزاوية، وسيارة اخرى خلفها.. فاغمضت عينيها، لقد عرضت مارج عليها السيارة لكنها رفضتها.. وفتحت عينيها:

- اسمع..

لكن السائق الشاب قال بحرج:

- قيل لي أن اقول لك سيدتي ان السيارة لاستعمالك الخاص، وأن اعطيك هذا.

اعطاها المفاتيح وورقة:

- انه حساب وقود مفتوح من المحطة القريبة سيدتي.. وسيعتنون باية مشكلة قد تواجهك مع أن الامر مستحيل، فهي سيارة جميلة جداً..! ولديهم مكان للوقوف اذا احتجت.. عمت مساء سيدتي.

ورفع يده الى قبعته، تحية:

- انتظر.

لكنه تراجع بأدب، وسار عبر الممر مبتسماً وركب السيارة الاخرى، لتنطلق به.

اقفلت كيتي الباب، واسندت نفسها اليه..ثم ادركت ان آيب غرايدي

كان ينظر اليها، وانه لا بد سمع الكثير.. مما قد يعني لرجل بتفكير شكوكي الكثير كذلك.. فقالت:

- استطيع ان افسر..

- لست مضطرة.. ولماذا تفسرين؟ نحن مجرد جيران.. مع أنني لا استطيع الا ان اتساءل: الى اي مدى، كل هذا والسيارات الفخمة، يمكن ان تعوض لك النوع من الاحباط الجسدي الذي كنت تحسين به ليلة امس.. هل يسمح لك بحبيب شاب بمجرد التنفيس؟ ترقصين معه مثلا، دون أن تقلقي من ان يصاب بنوبة قلبية بين يديك، هذا إذا لم نذكر أن يموت معك في الفراش؟ هذه مشكلة.

اخذت كيني نفسا عميقا، وبالرغم من لمعان الغضب الاحمر في عينيها، لم تستطيع منع نفسها من الرد ببرود:

- اوه.. لكنني افعل هذا.. لكن لدي مبادئي.. فانا لا اشارك فراش رجل مع رجل آخر.. لذلك اذا كنت تفكر بتقديم طلب مثل هذا المركز، ففكر مرة اخرى.

رد ببرود كامل:

- هناك دائما فراشي.. في الواقع هو جديد ولم اتم به بعد.. ولم اشاركه مع احد، وفكري كم هو قريب.. وانا واثق اننا نستطيع ترتيب طريقة عبر جوارنا المشترك في الحديقة كي لا يراك احد تدخلين وتخرجين.

شدت كيني قبضتيها خلف ظهرها.

www.elromancia.com

- انت تبالغ في تقدير نفسك سيد غرايدي.. فانا اختار من انام معه..

- تعني، حين لا تقيضي اجرك؟

وابتسم بكر حين احمرت غضبا.. لكن لماذا تغضب؟ وعلى الفور قالت لنفسها لماذا بالضبط. لأن هذا الرجل بكل بساطة، أساء الحكم عليها.. حكم على المظاهر فقط.. حسن جدا، ربما المظاهر تآمرت ليحصل سوء الفهم هذا.. لكن وفوق كل شيء، ها هو يسألها أن تنام معه، وهذا ما يجعله بنفس السوء الذي يظنها فيه، اذا لم يكن اكثر سوءا... وستكون ملعونة اذا لم تكن ستلعب هذا الدور حتى منتهاه ثم تحصل اللذة في صنع وجهه بحقيقتها..

تمتمت تهز كتفيها، تبتعد عن الباب:

- اوه.. حسنا.. اعتقد ان كلا من يكسب.

عيشه بما هو ماهر به...

أتود شرب شيء من الشاي، للبحث كيف يمكن أن نتعامل مع هذا القط اللعين.

- ٢ -

الجار الجديد

اخذ آيب غرايدي فنجان الشاي من كيني.. ولم تنتظر ردا منه على دعوتها.. بل تقدمت وأتت بفنجانين وقدمت احدهما له.. فسألها:

- امسموح لك بهذا؟

بدأت تلملم قطع التمثال والفنجان عن السجادة.. وقالت:

- لا تقلق، لن يدخل الى هنا ويطلق النار عليك، ولا اي شيء مأساوي.. فهو مسافر لستة اسابيع.. اجلس.. اين ذلك القط؟

نظرت الى خلف الكرسي الذي اختفى خلفه،ثم رفعت رأسها مبتسمة:

- انه نائم.. اتصدق هذا؟

ثم تكورت في زاوية الاريكة تأخذ فنجانها.

- اهلا بك في الجوار.

جلس يمسك فنجانه بيده:

. شكرا لك.. لماذا لست مسافرة معه.. على فكرة بما اننا جيران، وقد

www.elromancia.com

تضطر الى ذكره دائما، ما اسمه؟ فكرت قليلا:

- سمّه.. مارك، وهذا ليس اسمه الحقيقي بالطبع.

- طبعا.. ولماذا لم تسافري معه؟

- لقد اخذ زوجته.. على فكرة.. من كان ليلة امس ليس مارك.

- آه.. مناضل آخر في خدمتك.. اليس كذلك؟ اعتقد انك مضطره لترك خياراتك مفتوحة في هذه.. المهنة القديمة.

ضبطت اندفاعا مفاجئا للوقوف وصفع هذا الوجه الضعيف.. مع انه جاء بتفسير افضل بكثير مما كانت ستقوله

هزت كتفيها مرة اخرى وقالت:

- ربما.. هل فقد الجوار قليلا من رنينه بعد اكتشافك هذا؟ يمكن أن يكون اسوأ.. ربما سيل من الرجال الغرباء.

تراجع الى الوراء يدرسها:

- اتعنى بهذا انك انت يمكن ان تكوني اسوأ؟

- وحسناً..اعتقد هذا.. فرجل واحد مستديم كوظيفة واحدة مستديمة.. اليست كذلك؟

- الم يكن لديك يوما طموح لشيء آخر في حياتك؟

- اوه.. لكن الامر صعب حين يكون للمرء اذواق صعبة.. اتفهم؟

- فهمت...

شرب بعض الشاي ثم مد يده الى البوم صور ونظر اليها نظرة رمادية ضيقة.. فارجعت رأسها الى الوراء قائلة:

ـ كل هذا لا يعني انني لست مثقفة، ولست شخصا ذكيا.

ـ سمعت مثل هذا الجدال من قبل.. وانا لا اشك أن هناك نساء لم يكن لديهن الخيار، اذا كان هذا وسيلة للعيش.. ومن له الخيار في وسيلة عيشه؟ لكن ان تجعل المرأة من هذا وسيله عيش بكل ارادتها...

تنهدت كيني:

- هو أحط ما يمكن للمرأة ان تصل اليه؟ سيد غرايدي، الم انا ديك بالاستاذ؟

ـ نادني آيب.. وبماذا انا ديك؟

ـ بعيدا عن اسم لامع أو أي شيء مباشر، اسمي كيني رانكيز.. لكن، انت لا تدري آيب، قد يكون مارك شابا قويا، مرتبط بزواج تعيس.. وقد اكون احبه..فمن سيحظى اذن بإزدراءك اكثر هو ام انا؟

رد ممازحا:

اظنني سأقسمه بالتساوي.. امر مسل كما اظن.

ـ هذا افترض انني صدقة.

ـ ولما لا تصدقه؟

- الرجال الشباب الاقوياء عادة ليسوا مضطرين الى التمادي هكذا،

www.elromancia.com

خاصة مع امرأة يحبونها كثيرا.. ثم لا اظنك كنت ستغضبين كما غضبت لذكر حبيب شاب، وأن تتوتر اعصابك مع العجائز كما كنت ليلة امس.. هذا اذا كان توترك حقيقياً.

ـ فهمت.

ـ اذن.. انا محق؟

نظرت الى فنجانها ثم هزت كتفيها، وهذا شيء اعتادت عليه في مختلف المواقف.

- وماذا يعني لك هذا على اي حال؟ اتظن ان انتقالك للسكن الى الجوار يعطيك الحق لتقول لي كيف أحيا حياتي؟

ـ ابدا كيني.. لندعو هذا تبادلا لوجهات النظر وبكل تأكيد اشخاص مثقفون اذكياء يفعلون هذا.

- هناك فرق ان تكون بارعا مع مشاكل الناس وقضاياهم القانونية وبين أن تكون ذكيا بالمعنى العام المتعارف عليه. في الواقع، البراعة في القانون لا تعني ابدا القول انك لست جلفا دون احساس. كل ما يقوله لي مركزك حتى الآن تصرفاتك المتعالية، اجدها انا ثقيلة الظل الى حد الضجر. ماذا ستفعل حول هذا القط الخبيث؟

- لست ادري، كان يتجول في بيتي ليزعجني منذ ساعات.

قالت ببطء:

ـ لو كان يعيش في الجوار الا تظن انه كان ذهب الـ... اعني بعد تفحصه لمنزلك؟

- هذا ما فكرت فيه.. بعد ان وضعته لسادس مرة في... ما أن افتح الباب.. ولا يسكن احد من الناحية الاخرى... صادقا لا احس برغبة في أن ادور على الحي اقرع الا... عدائي.. اتفكري بأن تستضيفيه لهذه الليلة بما إنه نائم... نتصل بجمعية الرفق بالحيوان في الصباح اذا لم يسأل عنه...

ـ اعتقد انني سأقبل.. واضح انه ثمين، ولا بد أن شخصا... اي حال، اي ضرر آخر وارميه لك، فانت خياره الاول.

ـ الا تحبين القطط؟

ـ افضل الاعجاب بهم من بعيد.

ـ اعتقد ان هذا ما افعله لك الآن.

ـ ماذا؟

- أعجب بك من بعيد.

رفعت حاجبها دهشة وقالت بسخرية:

- اوه.. هيا الآن! لن تتوقع مني أن اصدق.

ـ..أن انجذب اليك كيني؟ للغرابة، اخلاق الشخص لا تبدو دلالة على من يجذب اليه.

www.elromancia.com

الهت نفسها بآخر ما في فنجانها من الشاي، ثم رفعت رأسها تقول:

- الا تظن انه حان الوقت لأن تكون ازدواجية الرجال على المحك أيب؟

- مثل ماذا؟

- مثلاً، وهم يدينون نساء مثلي بصراحة، لا يمكنهم منع انفسهم من اختيارنا صيد حلال لهم؟

- آه.. حسنا.. قد تكوني محقة..يمكن بكل تأكيد أن يكون هناك شيء من هذا.. وقد يكون من المثير للاهتمام معرفة لماذا انت، وانت تعرضين نفسك تجاريا، تشعرين انك بحاجة الى حماية ضد التجارة الحرة. وانا واثق اننا قادران على مناقشة هذا.. لكن لسوء الحظ، الانتقال عمل مرهق، لذلك انا مضطر للتأخير..

- لا تزعج نفسك.. سأقول لك الآن.. حتى في وضع التجارة الحرة، لي كامل الحق أن اتاجر مع من اريد.. حتى ولو في حالة الافلاس. افضل الافلاس على أن اتاجر بشيء معك.

- حسن عزيزتي.. علينا اذن أن نتحدث باشياء لا يمكن للمرء ربطها مع التجارة.. اشياء مثل لماذا لاحظتني ليل امس، ولماذا ازعجك ازدرائي لك، لتردي علي مع رجل ليس مارك حتى؟

قالت باحباط:

- اوه..هيا الآن.. كل النساء هناك، تقريبا كن ينظرن اليك! لديك هذه الطلة، لكن تأكد انني لم الاحظك قبل ان تنظر الي وكأنك تعريني...

ضحك:

- كنت المميزة بينهن.. ولست ادري شيئا عن مظهري، لكنك ليلة امس كنت تستأهلين تلك النظرة.

- ولماذا؟

- ربما لانك لست عارية.. في الواقع، اول انطباع لي انك على مستوى، وبالطبع كنت محقا. فمن الواضح انك على مستوى، بطريقة ما، ومارك بالتأكيد يقدّر هذا! ويمكنك انكار ما شئت لكن كان بيننا شحنة فورية ليلة امس، من النوع الذي لا تحكمه تجاره ولا اخلاق، وما الى ذلك. سأعود في الصباح لأجل القط.. ولا تزعجي نفسك بمرافقتي الى الخارج.

اول شيء فعلته كيني في الصباح، بعد ارتداء بنطالون واسع على آخر طراز، من مجموعة مارج، وقميص حريري عاجي واسع الكتفين، مربوط عند خصرها الضيق، ان اطعمت القط السيامي بعض الحليب، واخرجته الى الخارج.

دار في الفناء الخلفي قليلا ثم عاد الى المطبخ، وقفز الى رف المغسلة، حيث جلس ينظر الى خارج النافذة وكأنه التمثال الفروي.

قالت بعد سماعها جرس الباب، تكلم القط: ابق هنا، فلا بد أن هذا هو المحامي البارع.. وسيواجه مفاجئة!

www.elromancia.com

وذهبت تفتح الباب بعد أن اقفلت باب المطبخ على القط.

لكنه لم يكن المحامي، بل كانت امرأة عجوزة ممتلئة، بيضاء الشعر ترتدي نخبة من الثياب القديمه الطراز وخواتم انتيكية.

قالت كيني بأدب:

- مرحبا.. اهناك شيء افعله لك. شخرت العجوز:

- ابدا.. اذن انت الجديدة.. لقد اختار واحدة اصغر سنا اليس كذلك؟ لكنني سأقول لك شيئا.

واشارت الى الجاكوار الحمراء عند الزاوية:

- لاتظني انه اشترى هذه خصيصا لك..! فسابقتك كانت تستخدمها!

- آه..؟!اوه! لا.. تلك كانت..

- لا تحاولي خداعي بالقصص ايتها الشابة انا اسكن قبالتك، واعرف كل ما يجري في هذا البيت!

- هكذا اذن!

وقاومت رغبة جارفة في الضحك في نفس الوقت الذي كانت فيه تلعن عمتها.. وفكرت كيف تشرح الامر، لكنها فقدت فرصتها.

- الشيء الوحيد الذي يجعلني على باب دارك، هو انني فقدت الوعي وانا اتسوق واخذوني الى المستشفى لكن احدا لم يصغ الي وانا اسأل عن قطي! وها هو الآن قد ذهب... تجمعت الدموع في العينين

العجوزيتين فقالت كيني باستعجال:

- اسمعي اذا كان قطا رماديا سياميا، فإنه هنا. ساذهب واجيء به.

لكن كل ما فعلته هو فتح باب المطبخ وخرج القط، ليقفز على ذراعي سيدته.. لكن فرصة كيني بلقائهما كان مختصرا اذ قالت المرأة:

- على الاقل كان لديك اللياقة الكافية للعناية به.اعطيك هذه الصفة.. لكنها لا تغير واقع انك تعطين الجوار اسما سيئا.. طاب يومك.

تنهدت كيني:

- ويوم سعيد لك.

حين عادت الى المطبخ، صنعت القهوة وحضرت التوست للفطار، وجلست تأكل وهي شاردة الفكر.

سمعت جلبة في الجهة الاخرى للجوار، ثم ظهر آيب غرايدي فجأه، وحط في فناء دارها.

صاحت به مخاطبة وهما يلتقيان عند باب الشرفة

- ماذا تظن نفسك تفعل؟

- احمي سمعتي ليس إلا.. صباح الخير كيني.

- صباح الخير لا شيء! ماذا تعني؟

- نظرت لواقع ان ظهورى على عتبة بيتك يعطي الجيرة اسما سيئا: قررت انني اذا اردت رؤيتك، فهذه افضل طريقة.. افضل طريقة متكتمة.

www.elromancia.com

ـ أسمعتها؟

ـ سمعت كل كلمة، فتحت نافذة غرفة نومي المطلة على الشارع.. و.. ها اننا.. هذه مشكلة هذه المنازل.. اذن لقد بدل مارك الموديل القديم بموديل اصغر سنا.

ـ انت.. انت اكثر الانزال تلوّنا ساقني سوء حظي ان التقي. ما الذي تظن نفسك تفعله الان!

قالت هذا وهو يضع يديه حول خصرها ويرفعها عن الارض ويدخلها الى الداخل يجلسها مرة اخرى.

ـ لقد اغوتني الرائحة الرائعة لقهوتك. لدي القهوة لكن لا شيء لاصنعها به.. ولدي علبة طعام جاهز، ولا شيء افتحها به.. وكنت آمل أن تشفقي علي وتعرضي علي الفطار.. يعجبني مطبخك على فكرة.

جرّ كرسيا وجلس.. فارخت يديها عن خصرها، ورفعت رأسها:

ـ انه ليس لي كما تعرف جيدا.. لا شيء هنا لي.

اخذت فنجانا آخر وصبت له القهوة:

ـ لدي فاكهة وتوست للفطار وهذا كل شيء!

ـ اهكذا تحافظين على رشاقة القوام؟

اخذ منها القهوة:

ـ شكرا.. على فكرة انا مسرور لأعرف ان ما بقي من المنزل ليس

من صنعك.. اهي سابقتك؟.

ـ لست ادري.. يجب أن ترى غرفة النوم. ضحك: استطيع تصورها.

ـ وهذه ليست دعوة.

ـ بالطبع لا..وضعت التوست امامه، والتقطت تفاحة من سلة الفواكه:

ـ تفضل.. اعتقد أن اطلب من مارك أن ارتب الاشياء قليلا.

ـ لماذا لا تطلبين منه تغيير الديكور تماما؟

ـ اليس هذا من حق.. الحبيبة الجديدة.؟

بدأت تقشر التفاحة:

ـ قد افعل هذا. بعد مراقبة جهدها لحظات، اخذ التفاحة منها، واكمل تقشيرها ببراعة.. ونظرت الى القشره المرتبة:

ـ اوه.. لم أتمكن يوما من فعل هذا.

ـ كل لديه براعته.

قطب قليلا ينظر الى يديها:

ـ ليس لديك ...

ـ عشيقة؟

ـ كنت سأقول سيدة كسولة. ستصبحان هكذا قريبا.. كل التوست قبل أن يبرد.

www.elromancia.com

ـ حاضر سيدتي. اذا كانت علاقتكما جديده يذهلني قدرته على تركك.

ـ وقته ليس دائما له.. افهم هذا.

ـ لكن ألن تسأمي من الجلوس دون عمل شيء في حياتك.

ـ ومن يقول انني لا أفعل شيئا؟ مسموح لي أن اخرج.. استطيع قضاء اليوم أزين شعري..اظافري، احصل على التدليك.. ثم الملابس والآن ذكرتني، سأمض اشهرا وانا اعيد ديكور المنزل.

ـ لا اصدق.

ـ لكنك تصدق أشياء كثيرة عني.

ـ حسنا.. تبدين اكثر ذكاء لمثل هذا.. بالرغم من‌ماقلته ليلة امس.

نظرت اليه ساخرة:

ـ عشيقة ذكية؟ في الواقع، وكما ستجد الامر لا يصدق، ان ادرس في الجامعة... واكتب القصص.. مع موافقة مارك. واظنه يسعد في ان يكون له عشيقة مثقفة ذكية.

ـ اي ماده تدرسين؟

ـ آداب الشعوب.. اسمع؟ جئت الى هنا تطلب الفطار.. والآن لا تأكل.

نظر الى التوست:

ـ انها عادة من ايام الدراسة.. اصبحت افضل الطعام البارد.. اتذهبين الى المحاضرات؟

ـ في الوقت الحاضر، ادرس بالمراسلة. ـ هكذا اذن.

انهى التوست ومد يده الى برتقالة. فقالت:

ـ تقول هذا وكأن الدراسة بالمراسلة لا اهمية لها. لكنك..

ـ كنت أتساءل فقط ما نفع درجة جامعية بثقافات الشعوب لك.. أعني كمهنة، لها حدودها، حتى ولو كنت جادة.

ـ انت تنسى ان هذا مستقبلي العملي انا.. ولا اظن أن الثقافة من اي نوع قد تكون غير ذات جدوى.

ـ وهل مارك يهتم بمثل هذا الحقل؟

ـ ابدا.. ولكن لديه اشياء كثيره جيده..ولا تفهمني بطريقة خاطئة، لديه الكثير من المال. لكن تعليمه كان محدودا، مع انه حاول، والوقت متأخر الآن.

حرك آيب قهوته:

ـ لنفترض، وهذا كل التوقعات، انه دخل الآن. ولنفترض انه لم يفعل شيئا مأساويا معي.. ماذا تظنين سيفعله بك؟ فكرت كيني قليلا:

ـ لا شيء لا استطيع التفاهم معه حوله.

ـ ارتحت لسماع هذا.. لكنني اظنك تخدعين نفسك، فالمعروف ان

www.elromancia.com

الرجال يتصرفون بغرابه في مثل هذه المواقف.

ضحكت كيني:

- انت من يستمر في المجيء لرؤيتي آيب.. لكن لا تقلق أستطيع معالجة امر مارك.

- اذن لا بد وأن تكوني واثقه جداً من... جاذبيتك.

- من المؤسف أن اكون مرتبطة، استاذ غرايدي، وإلا لاعطيتك درسا صادقا في هذا.

- اجد اخلاقياتك محيرّة.

- اراهن على هذا لكن هذا امر بسيط... صدق او لا تصدق الاخلاص لرجل واحد هو شعاري.

وقف فجأة، وقبل أن تتحرك مبتعدة، كان قد وضع يداه على كتفيها، وارادها لتواجهه.

- في ضوء سيطرتك على فرانك، اتعني انني قد استطيع أن أحقق اختراقاً. كيني؟

- لا..

لكن لم يكن من السهل ان تبدو هادئة، وعيناه الرماديتان تجوبان وجهها وجسدها بطريقة حميمة مثيرة.. ولا كان من السهل كذلك ان تتجاهل الاحساس بحرارة يديه عبر القماش الناعم لقميصها.. ولا أن لا

تتأثر بقرب جسده الطويل الرائع الخطوط.. في الواقع، حرك في نفسها اول دلائل الرغبة، التي لم تحس بمثلها منذ زمن بعيد.. وقالت متوتره:

- دعني..!

لكنه حرك يديه على كتفيها واخذ اصبعه الباهمين يتحسسان خطوط عنقها، ويرفعان ذقنها الى فوق.. ثم انزل يداه متراجع:

- سنرى كيني.. سنرى!

اغمضت عينيها بتوتر حقيقي، وبشيء أخر لم تستطيع تحديده.

- ايمكن أن تعود الى بيتك.. وتتابع ترتيبه؟ يبدو لي انه بحاجة للترتيب.

ابتسم بخبث:

- بكل تأكيد.. الا ترغبي في مساعدتي؟

- لن افعل.. فلدي عمل، اذهب ودعني وشأني.

عملت كيني في مخطوطة قصتها للاسبوع التالي بكامله، بنوع من الغضب المكبوت، تركها مع صداع رهيب، وعينان متوترتان ليلا. المرة الوحيدة التي خرجت فيها كانت لشراء الطعام والتمشي.

ووضعت الجاكوار في الكراج.. واكتشفت انها قادرة على إرضاء كل احتياجاتها من المحلات القريبة.. اضافة الى انها تتمتع اصلا بالتمشي، هكذا اخذت كل يوم تبتعد اكثر قليلا عن المنزل.

هكذا علقت مرة في عاصفة مطر على بعد ميلين من المنزل، محملة

www.elromancia.com

بأكياس الفاكهة والخضار.. حسبت شاهدها آيب غرايدي وتوقف ليعرض عليها توصيلها بسيارته، في الطريق عرض عليها أن تتعشى معه فرفضت، متذرعة بجاكتها المبللة، فأجاب بعد تفكير:

- اذن، هناك بديل، تناولي العشاء معي في منزل بعد ان تجففي نفسك.. وهذا آخر عرض لي.

شدّت على اسنانها: - واذا رفضت؟ ماذا ستفعل؟.

- سأتوقف خارج منزلك، منزل مارك. عفوا واظل ازمر الى ان يتوقف المطر، بعدها سأنزل لأدق الباب بيدي الى ان تخرجي.. فكري كم سيعزز هذا سمعتك في الجوار.

ردت عبر اسنانها:

- هذا اذا لم نذكر سمعتك. - لست اهتم بسمعتي على الاقل هذه الليلة كيني.. قد يظنني الجيران، لأنني جديد، احمق جاهل.. ألا توافقني؟

- ايها النذل ذو الوجهين.. لا.. لأوافقك..

- سأفعل ما هددتك به كيني..

شدت على يديها ثم قالت ببرود:

- سآتي.. لكن، من فوق الجدار.

بعد نصف ساعة خرجت من السيارة تصفق الباب خلفها:

- اجل..

www.elromancia.com

- ٣ -

مخادع.. ثري

قررت وهي تجلس امام مرآتها، تبالغ في زينتها وهي لم تفعل هذا من قبل، ان عجرفة آيب غرايدي هي التي ادت الى فقدانها توازنها في كل شيء.. واذا كانت صادقه مع نفسها، ستضيف جاذبيته الخطيرة.

الهذا يا ترى تعطي هذه التمثيليه التي لا تصدق فرصه اخرى الاستثمار.. بكلمات اخرى.. هل تستخدمها كنوع من الحمايه لأحاسيسها؟

عند هذه النقطة من التفكير، برزت قسماته الجميلة، خلفها في المرآة، وقطبت ثم استدارت بغضب:

- لا تجرؤ على التسلل الى منزلي هكذا مرة اخرى استاذ غرايدي!

رد بوقار:

- اعتذر آنسة رانكيز.. قلقت من أن تكسري عنقك وانت تتسلقي السلم، ثم انني قرعت الباب مرتين.

خلع سترته، وارخى، ربطة عنقه وأدار اهتمامه الى غرفة النوم.

- اذن هنا تدور الحركة؟

ردت غاضبة:

لا.. فأنا اؤمن بالتغيير، ارض الصالون، طاولة غرفه الطعام. انا مبتكرة جدا، وغير تقليدية في مثل هذه الأمور!.

- كما انك رائعة وانت غاضبة.. يالللسماء؟استدارت فجأة وخرجت، فلحق بها في منتصف الطريق يسألها:

- هل اغضبتك حقا؟

تمتمت غاضبة. فأمسك يدها ومنعها من التقدم.

- ولماذا الحساسية فجأة؟

زمّت ضمها بقوة، وحاولت التخلص من قبضته، لكن اصابعه كانت مطبقة على معصمها.

- اهدأي كيني!

- اهدأ..؟ انت تخترق حساسية كتلة من حطب .

- انا لست معروفا بلباقتي.

- قد اندهش لو عرفت انك تفهم معنى الكلمة..

- اوه.. غالبا افهمها.. لكن امي طالما اتهمتني بعوزي للباقة.

- مؤسف انك لا تسمع كلام امك إذن!

ادار لها يدها الى الاعلى وقال مفكرا:

- غرفة النوم.. اتحرجك الى هذا الحد؟

- ليس الاسباب التي تتخيلها.-لما اذن؟

ترددت، ثم قالت باختصار:

- بما لا شأن لك به.

- لكنني اخبر بالحياة منك، واظن اكبر منك ببضع سنوات.

- اذا كنت في الخامسة والثلاثين كما يقال، فأنت تكبرني بسبع سنوات.

وهذا يعني انني منيع ضد الصدمات.. لكنني لن اضغط عليك في موضوع غرفة النوم. على الارجح ستخبرني في الوقت المناسب لك.

سألت بإهتياج:

- ما الامر؟ أهي خطة جديدة لاعادة تنشئتي؟ ظننتك محام بارع.

- انا هكذا.

- اذن التزم بما انت، فلا اريد منك شيئاً. ثم ما الذي غيرك؟ كنت في مزاج فظيع حين كنا في السيارة.

- صحيح.. لكن توقع العشاء معك غيرني.. هل لنا أن نذهب؟

منزله الذي اصر على ان يريها اياه من قمته الى اسفله، كان جميلا.. الجدران، بلون اصفر يقرب الى البياض، والبساطة في كل مكان، وهذه

www.elromancia.com

امور في العادة، ترباق لنفس كيني.. لكن نفسها لم تكن في حالة يمكن تهدئتها، ولم تقل الكثير، مع أنها لم تستطع منع نفسها عن ملامسة سطح الانتيكات الدقيقة وقطع الاثاث الاثرية. ثم اخذها الى المطبخ الذي كان له نفس الطاولة والطراز الذي لمطبخها وسأل.

- ايمكن أن نأكل هنا؟

- ولم لا؟

- ماذا ترغبين أن تشربي؟

- بعض العصير لو سمحت.. هل الطبخ موهبة اخرى من مواهبك، استاذ غرايدي.

- اعطاها كوب العصير:

- لا... بل مجرد أشياء أساسية.

- لكن ما تطبخه الان، لا تنبيء رائحته انه من الاساسيات.

- لدي سيدة تنظف لي البيت، وهي رائعة كلما انت، تترك لي وعاء طبخ مليء لأسخنه. واليوم اتعبت نفسها لتترك وعائين. ولست واثقا مما هو الوعاء الاخر.. خليط من الخضار.. ثم لدي خبز طازج، زبدة.. لا... لا تتحركي، ساحضر المائدة من حولك.. اتطيخين كيني؟

- كنت سأموت جوعاً لو كنت لا اطبخ. لكن اجل، اتمتع بالطبخ.. واعرف كيف اخيط ثيابي لو اضطررت، وانا بيتبة تماماً حين احتاج.

- وهل انت جيدة مع الاطفال؟

- جيدة جداً مع اطفال الاخرين.. وهذا ما لا يعني الكثير. لكن لماذا السؤال؟

هز كتفيه:

- مجرد تغيير لمواضيع الحديث.. ماذا ترغبين أن نتحدث؟

فكرت قليلاً:

- اخبرني عن امك.

ضحك:

- امي سيدة متعجرفة رائعة، ولسوء حظي انا ابنها الصبي الوحيد، واصغر اولادها.. ولدي ستة شقيقات، كلهن متزوجات ولديهن اولاد، ومن قمة المجتمع.. لكنهن خسرن ميزة كبيرة من وجهة نظر امي.. لم يعدن يحملن اسم العائلة.

ابتسمت كيني:

- اذن، فهي تموت شوقاً لكي تتزوج وتنجب لها الوريث لأسم العائلة.. فلماذا لم تتزوج؟

- سأفعل دون شك في يوم ما.

- وهل افسدتك دلالا؟

- انها ليست من هذا الصنف من الامهات في الواقع بعد موت

www.elromancia.com

والدي، صممت ان تكون على عكس الدلال الى درجة الالم.

ضحكت:

- لا بد انكما متشابهان، فانت لا بد اخذت عجرفتك منها.

بدا مجفلاً، لكن ليس لوقت طويل وقال:

- ولك لحظات عجرفة كذلك كيني، فهل يعود هذا لأمك؟

- لا.. ولو صحيح انني متعجرفة، فالامر يعود الى أبي.

- كيف تظنني ان والداك سيتصرفا لو عرفا ماذا تفعلين لكسب معيشتك؟

- كلاهما ميت.. ثم انك قلت اننا سنغير الموضوع؟

كان على وشك قول شيء لكن جرس الفرن دق منذراً

- لقد جهز العشاء.. يا لحسن الحظ.

كان العشاء لذيذاً صينية دجاج، ومجموعة خضار، مطهوة بمهارة.. الطماطم والبصل تحت طبقة من الجبن الذي يعلو الصينية. وحين تلقى آيب حكاية هاتفية لها صلة بعمله، نظفت كيني المكان بهدوء، حين انهى مكالمته، التفت اليها وكأنها غريبة.. ثم قال:

- لم تكوني مضطرة لهذا.

هزت كتفيها، والتقطت كوب العصير:

- سانهي هذه ثم اذهب.. يبدو لي مما سمعت ان لديك قضية دقيقة

جداً امام المحاكم في الغد.. الهذا كنت في مزاج سيء منذ ساعات؟

جلس يقول باختصار:

- جزئياً.

- اتخاف أن لا تنجح؟

وقفت لتصنع القهوة، وتراجع في مقعده يدس يديه في جيبيه:

- ستنجح وإن كان هذا اول حرام سأفعله في حياتي.. لكن المسألة دقيقة، واستمر في القول لنفسي أن الاجراءات القانونية صعبة على موكلي اكثر مما هي صعبة علي.. لكن...

اعطته فنجان قهوته وقالت:

- يجب اذن ان تعتاد على وسيلة تهدىء فيها توترك.. وإلا فلن تستطيع الصمود.

- اوه.. لدي الوسيلة.

نظرت اليه فوجدت عيناه مستغرقتان عليها بشيء من السخرية.. وامر آخر، فقالت بازدراء

- فهمت.

سألها بصوت منخفض:

- ماذا فهمت كيني؟ ظننتك اكثر الناس فهماً لقيمة الحب في تخفيف التوتر.

www.rromancia.com

ردت بثبات، تدهش نفسها بقوته:

- هذا يتوقف على كيف تفعل؟ الك نظام خدمات خاص، ام انك تجوب الشارع لتجد من تمضي ليلتك معها!

- وهل هذا افضل مما يستطيع، اي رجل لديه ما يكفي من المال ليحصل منك على ما يريد.. كيني؟

وقفت تقول بحدة:

- قلت لك هذا من قبل، وساكرره آيب: أدر دفة حياتك كيفما شئت، واترك حياتي وشأنها.

استدارت نحو الباب الخلفي، لكنه قفز واقفاً بحركة رشيقة يسد لها الطريق.

- هل انت عائدة الى سجنك الازرق والفضي؟

- لن ابقي هنا لأهان على اساس تخفيف التوتر لك.. اذا كان هذا ما تفكر به.. اخرج دفتر مذكراتك، وابتعد عن طريقي..!

تمتم يترك يدها:

- حسن جداً.. لكن بعد ان افعل هذا.

وعانقها بنعومة، حتى أن قوتها تلاشت. وفعل الكثير بيديه، حتى انقطع نفسها واحست ببشرتها تعود الى الحياة تحت اصابعه العجيبة. واصبحت في النهاية عاجزة الى درجة الالتصاق به.

لكن ما بدا مجرد عناق، اشعل فيها نار رغبة حقيقية، وبادلته العناق بعناق بقوة وجوع اذهلاها، حين انتهى، بقيت بين ذراعيه، تشهق لتتنفس.. ثم قالت بصوت اجش:

- يا الهي! ماذا اتظن نفسك فاعلاً؟

تفرس في وجهها الاحمر، وجفنيها نصف المغمضين، محركاً يده على ظهرها:

- انت مدينة لي بهذا كيني.

- لست مدينة لك بشيء!

- بلى.. اتريدين فعلاً معرفة سبب سوء مزاجي بعد الظهر؟ ساقول لك.. لقد اتضح لي فجأة حين رأيتك تقفين تحت المطر، لا زلت في كبرياءك وجمالك، أن المرأة الوحيدة التي ارغب فيها في تلك اللحظات هي انت.. الا تشعري ان من واجبك تحمل بعض المسؤولية في هذا؟

وسخرت منها عيناه.. فأجابت متلعثمة:

- لا.. انا..

- ثم، الامر الآخر الذي دفعني الآن هو رغبتي في ان ارى ما اذا كنت قادراً على تحريك امرأة مثلك، اساسها بارد، ومرتزقة، كما تدعين.. اعني كما تتصرفين وكأنك حلم رجل.. واظن انني نجحت.. اليس كذلك؟

www.elromancia.com

همست:

- اظنك مجنون.

- على كل حال، لقد تجاوبت بكل تأكيد كبني، تنفست بيأس:

- انت..

- انا..؟

- اوه.. دعني اذهب!

تركها:

- هل فقدت الكلام؟ لماذا ولو لمرة واحدة في حياتك، تفعلين شيئاً صادقاً كبني.. لماذا لا تتخلين عن مارك وتأتين الي؟ على الاقل، تتجاوبين معي كما انت، ولأنك بالفعل ترغبين.

- انت.. تطلب مني.. أن اكون عشيقتك؟

- هذا نظراً الى قدرتك على أن تبقي جميلة ومرغوبة وتدرسين حضارات الشعوب معاً.. لكن دون مصادر عيش، لا يمكن ان تكوني في غير هذا.. صحيح.

اذا كانت محمرة، منشوشة من قبل، فقد تحولت الى شاحبة بيضاء، ولمعة عيناها الزرقاء وكأنهما قطعتان من الجواهر:

- والى متى تظن هذا سيدوم؟ انت تحتقرني اساساً آيب.. لا.. شكرا لك.. فلا مستقبل لي معك.. وفكر لم سترتاح امك! اما بالنسبة للصدق

مع النفس.. اغتنم الفرصة لأحذرك انك لو وقفت قرب باب بيتي مرة اخرى.. ساستدعي الشرطة:

- دعني أمرّ..

- تحرك..

- اظنني فهمت.. كل هذا يدعو الى مفاوضات حذقة ودقيقة.. لماذا لم افكر بهذا من قبل؟ إلا اذا كان هذا يستلزم المزيد من الجنيهات، لكنني لا اعرف كم يملك مارك منها..

- اصمت.. توقف عن هذا.. ما تحتسبه عني قد يكون صحيحاً مما تحس نفسك تعرف عني.. لكنه.. في الواقع صحيح مما لا تعرفه، وهذا امر ساخر.. لكنه يصل الى هذه النتيجة. لا اريد أن يكون لي صلة ابداً بك آيب.. انت لست نوع الرجل الذي استطيع العيش معه.. ولأسباب عديدة، ولن ازعجك بها بل سأقول واحداً فقط. انت من النوع المنافق الذي لا استطيع العيش معه!

- ومارك ليس منافق؟

- دع مارك خارج الموضوع.. انت الذي تظنه قادر على شراء امرأة يحتقرها اساسا.

لكن، سألت نفسها، وما الفرق؟ انه لا زال الرجل المخطيء بحقها تماماً، ونفس الرجل الذي أثارها، مع ذلك يعبر عن سخريته التي ربما تكون جزءاً منه، ويجب أن تكون اخر شخص تسمح لنفسها ان تقع في حبه..

www.elromancia.com

جرحها دفعها لأن تقول بسخرية:

- حتى العاهرات لهن كرامتهن سيد غرايدي.. عمت مساء.

وتركها تخرج.

من سؤ حظها، ان دموعها سخيفة اعمت عينيها بما يكفي لأن تضع خطوة خاطئة، وتسقط من فوق طاولة الرخام المرفوعة على الجانب الآخر من الجداد.. فصرخت، ثم جلست تتألم وتعض على شفتها.. لكنه سمعها، وقفز فوق الجدار، يرفعها بين ذراعيه، فقالت بضعف.

- انا بخير..

- لا.. انت لست بخير.. اين مفاتيحك. وضعها امام الباب الخلفي للمطبخ فصرخت ترفع ساقها، فأخذ المفاتيح وفتح الباب ثم حملها الى غرفتها.

- اسمع..

- اصمتي كيني..

والقاها فوق السرير.

- لكن لا اظن الاصابة خطيرة.

- اخلعي بنطلونك.

- لا.. آيب!

- اسمعي، اذا لم تخلعيه، فساقصه.. لقد بدأ كاحلك يتورم.. افعلي.

تحركت متألمة تنظر الى كاحلها.. وتقدم منها يمسك قدمها ويحركها:

- لا اظنها مكسورة، لكنك ستحتاجين الى صورة اشعة، وبعض الثلج في الحال.

بشكل لا يصدق، وفي وقت قصير كانت تجلس في فراشها، وقدمها مرفوعة على وسادة مغطاة بكيس ثلج، وآيب يتكلم على الهاتف.

راقبته يجوب الغرفة نافذ الصبر، مفكوك ربطة العنق، مرفوع الاكمام، وبدا لها جذابا بشكل خطير.. وكان يقول:

- بيلي.. هذا انا.. آيب.. اسمع.. جارتي وقعت ورضت كاحلها: ايمكنك ان تأتي بآلة التصوير المحمولة؟ بيلي، انت تدين لي يا بني..

ثم ابتسم:

- اه.. في طريقك إلينا.. واحضر معك ما يلزم من رباطات..

وضع السماعة وحمل الهاتف الى الطاولة قرب السرير.

- لن يتأخر.. انه صديق قديم لي.

- وهل سيكلفني كثيراً؟

- أنه مجاني.. لحسن الجوار.

- فهمت.

- اليس لديك بيجاما محترمة بيلي سريع التأثر.

- اجل لدي بيجاما.. انها تحت الوسادة.. واستطيع أن ارتديها

www.elromancia.com

لوحدي، اذا كنت تفكر بمساعدتي..

- ابدا.. سانزل لأنتظر بيلي.

كان بيلي رجل ودود جداً، زائد الوزن قليلاً، وقصير، له عينان براقتان ضاحكتان زرقاوان.. كما انه لم يدع صديقه يفلت من تعليقه الضاحك:

- اتعرفين آنسة رانكيز، لآيلونغ هذا دائماً حظ يذهل.

- آيلونغ؟

والتوت شفتيها.. فنظر آيب الى صديقه نظرة ساخرة:

- شكراً..

تابع بيلي.

- بل ان اسمه اسوأ من هذا. انه: آيلونغ مايجورى غرايدفيز.. امه..

- قلت كل شيء عن امي لها بيلي..

- اذن تعرفان بعضكما جيداً.. فآيب يقي امه سراً.. اذكر الايام التي..

صاح آيب:

- اوه.. لأجل الله ببلي.. اكمل عملك.. سيظن الجميع اننا لا زلنا في الثانوية.. للطريقة التي تتحدث بها.

وشرح بيلي انه مضطر لأن يأخذ صورة الاشعة ليظهرها، وهذا لن يكون قبل صباح الغد. واصرّ على الاطالة في الرباطات ووضع الدعائم الخشبية للقدم كي لا يتحرك.. ثم قال آيب:

- هيا الآن.. تعال، سأوصلك الى الخارج. ما جرى بينهما لم تعرفه كيني.. لكنها عرفت انها اصابت التخمين حين عاد آيب في مزاج سيء.. فقالت تقاوم الضحك:

- انها فكرتك!

- اكان يجب ان اتركك راقدة هناك وربما مع كاحل مكسورة؟

- لا.. وانا ممتنة لك.

- اذن لماذا يبدو عليك المرح هكذا؟

ارجعت رأسها الى الوسادة:

- انه صديقك.. والاستنتاجات التي توصل اليها..

- وماذا تظني انه استنتج؟

- استنتج أن آيب غرايدي، القانوني الرهيب، وقع في شراك امرأة.. هو.. بيلي اعني.. لا يعرف كيف ينظر اليها.

شاهدته يترخي، وتهبط كتفاه ارتياحاً وكان لا بد لهذا ان ينعكس على كلامه، لكنه لم يفعل:

- اوه اظن بيلي ادرك ما نوع النساء انت عزيزتي.. فهذا مكتوب على جبينك.

جلست فجأة، مجفلة غاضبة وهمست.

- اخرج من هنا.

www.elromancia.com

- خارج لتوي..

حصلت على خبر أن كاحلها ليس مكسوراً في الصباح عبر بيلي.. وجاء يبلغه شخصياً.. كانت في الطابق الاسفل بعد أن اضطرت للمناورة لتنزل السلم.. وسألها هامساً:

- اسمعي.. اكاد اموت فضولاً.. اترين.. آيب من اقدم واعز الاصدقاء.. كنا في المدرسة معاً قبل الجامعة.. ولدي احساس انك تكرهينه.. اما هو فلا يعرف ايفتلك ام.. الشيء الآخر والذي لا بد أن يكون احساساً جديداً بالنسبة له.. صدقيني.. وبعد زمن طويل!

نظرت اليه بفضول، ثم دعته للدخول:

- انظر حولك مرة اخرى.. ما تظن كل هذا؟

دخل بيلي لكنه فاجأ كيني بقوله:

- انا لا اصدر احكاماً عشوائية.. حتى ولو كان ما يظهر امامي واضح، إلا انني لن ادينك قبل ان اعرفك اكثر.. فقد يكون هناك اسباب كثيرة لهذا.. اهذا ما فعله آيب؟

ضحكت كيني بمرارة .

- حتى انه لم يرَ شيئاً.. على اي حال، هذا ليس من شأنك، وحين تتكلم عن معرفتي اكثر.. لا..

- كيني.. هل لي ان اناديك هكذا؟

ادهشها انه ينظر اليها برزانة واكتئاب.

- اعتذر انه يجب لأحد ان يشرح لك امر آيب ونفسيته، ولطالما ظننت ان على احد أن ينشر شريط فيديو يشرح حقيقته.. فيوفر هذا كثيراً من القلوب المحطمة.. فهل اشرح لك؟

عشر دقائق فيما بعد كانا يجلسان على طاولة المطبخ يشربان الشاي، ثم بدأ يشرح لها:

- لطالما كان لامع الذكاء.. لامع في المدرسة، لامع كلاعب كرة، بارع في لعب البيانو كالملائكة. وبالطبع هو قرة عين امه.. ابن ذكر بعد ستة بنات..

- مما قاله لي امه جبّارة متسلطة.

- انها تحب ان تظن نفسها هكذا.. لكنها التقت باعند منها في ابنها.. ثم كان ذلك المال الذي ورثه حين مات والده..

- انتظر.. انه ليس واحد من هؤلاء الغرايدينز؟

- هو بنفسه: سفن شحن ناقلات بترول.. في الواقع كان الوارث الوحيد.. والأم مع بناتها حصلت على مبالغ محترمة بالطبع.. لكن الكمية الاكبر كانت له.. والامر لم يقف عند هذا فأمه عضوة بارزة من النبلاء انها من عائلة مايجوري المالكة الأن من اقطاعية واسعة.

ردت كيني ببطء:

www.elromancia.com

- فهمت..!

- والآن.. مهما كانت امه مستبدة، فمن المستحيل أن لا يتدلل الى حد الفساد، ويحصل على كل شيء يرغبه.. لكنه اصر على متابعة تعليمه ليصبح المع القانونيين.

- لماذا لم ترغب امه في ان يصبح محامياً؟

- ربما لأن رعاية مصالح العائلة عبء اكثر من الكافي لرجل واحد.. ومن الطبيعي إنها توقعت منه أن يكون له نوع من خلفية جامعية. لكن خلفية تعينه على ادارة المصالح، وتناسبه لأن يصبح رجل مجتمع مخملي متميز.

- اذن، قاوم امه ونجح:

- لكن مشكلته الاخرى أن النساء يرمين أنفسهن عند اقدامه، منذ.. المدرسة الابتدائية.

ارتشفت قليلاً من الشاي وقالت مفكرة:

- انه إذن ذو شخصيتين.. دكتور جيكل ومستر هايد. صفّر بيلي:

- نال منك اذن.

- والفضل لسلسلة من الظروف التي لا تصدق. ولقد كان لي فيها حصة، بيلي.. اتصنع لي معروفاً بيلي..؟ إنسى انك قابلتني..

- اشك في أن استطيع.. لكنني لن أنشر الشائعات اذا كان هذا ما

تعني.

احمرّ وجه كيتي، وقدمت له المزيد من البسكويت.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

ـ ٤ ـ

التحدي

كانت تتناول العشاء لوحدها على طاولة المطبخ حين قفز من على الجدار ودخل دون ان يقرع الباب.

ـ ما الذي تريده الآن؟

سألها:

ـ الديك طعام بعد؟

وتوجه الى وعاء الطعام فوق الفرن. ووجد.. ولم يزعج نفسه في صبه في طبق، بل احضر ملعقة واخذ الوعاء الى الطاولة.. وسألته بحدة:

ـ اليس اليوم دور المرأة التي تنظف لك.. لا يمكنك العيش على نصف طبق من الطعام.

ـ لكنك تأكلين نصفه الآخر.

ـ انا لم اعمل طوال اليوم.. كيف سارت الامور؟

ـ متفائلة بحذر.. وساعرف نتيجة الحكم بعد اسبوعين..

ـ كيف حال كاحلك؟

ـ أفضل.. ليس مكسور.

ـ اعرف.. اتصل بي بيلي.. انت محقة، اكاد موت جوعاً.

نظرت اليه وهو يبحث في البراد، ويجمع الخبز والزبدة ليضع لنفسه عدة سندويشات جبن وزبدة ومخلّل، ثم وعاء من الشاي

ـ اتريدين بعضها؟

ـ شاي فقط.. شكراً.. هل خطر ببالك يوماً انك وقح آيب؟

ـ اتعني بعد الاهانة التي وجهتها لك بالامس؟

ـ شيء من هذا.. آخر واحدة على اي حال.

ـ كانت بذيئة، اليس كذلك؟ اعتذر.. لم تكن حقيقية.

قالت بصوت منخفض:

ـ انت تذهلني.

ـ حسنا.. لو لا كنت تذهلين بدورك، لما كنا نفعل هذا.

ـ افعل هذا لأن لا خيار آخر لدي في الوقت الحاضر.

ـ كان بامكانك اقفال الباب.

ـ ولماذا اعيش وكأنني..؟

ـ سجينة؟لست ادري.. اخبريني انت. التجأت كيني الى صمت

www.elromancia.com

محيط.. واستغل صمتها ليأتي على السندويشات.. ثم شرب الشاي بعطش وصب لنفسه فنجاناً آخر.. ثم قال:

- جئت اعرض عليك امراً.

- اوه.. لا..

- اسمعي فقط كيني.. ساخذا استراحة لبضعة ايام هذا الاسبوع.. من الجمعة حتى الاثنين. فتعالي معي.. نواياي كلها شريفة.. لن اضع اصبعاً عليك إلا اذا دعوتني.. ستكون حفلة منزلية، والجميع سيكون محترماً.. وسيكون كاحلك افضل حالاً حتى يوم الجمعة.

نظرت اليه فاغرة الفم.. ثم قالت بخشونة.

- لكن.. مارك..

ثم صمتت تكره نفسها.

- اسمعي، انت لست زوجته.. والامر عائد لك للتصرف بما يخصك من وقتك.. ولهذا فالامر عائد لك في المجيء معي ام لا.. انا لا اقترح ان اخطفك.

- لكن ما تقترحه هو سرقتي..

- اللعنة على سرقتك.. ماذا انت على اي حال كيني؟ تقولين لي انك تحكمين نفسك، تقولين لي ان لديك مبادئك الخاصة، وان ما من رجل يملي عليك ارادته.. لكنني اعتقد انك مخطوبة قديمة الطراز لا شأن لها بامر

نفسها.. وانا الآن اتساءل.. ام ان الامر مختلف عن كل هذا..؟ هل انت في الاساس امرأة خائفة؟ مهددة لسبب ما، لتقيمي علاقة حقيقية دون قيود مع الرجل؟

ادركت فيما بعد أن ما قامت به ساعتها من الانكار، لنفسها وله، كان بالفعل نوع من الخوف، خوف منه، وخوف من أن تقع في حبه، ومواجهة القصة القديمة نفسها.. وهي أن لا يرغب آيب غرايدي ان يتزوجها.

قالت ببطء:

- ماذا تظن هؤلاء الناس المحترمين، سيظنون بنا اذا عرفوا من انا؟

- لن يعرفوا.

- وإذا، بعد هذه الايام، بقيت على نفس القرار والتفكير كما انا، فهل تتركني بسلام؟

- اجل. نظرت اليه متحدية:

- اذن.. سأذهب معك.

قال بصوت منخفض، اقلق حذرها:

- هذا تغيير للموقف.

- وكذلك موقفك.. ليلة امس ما كنت تعرض ان لا تضع أصبعا عليّ.. واتساءل ما اذا كنت قادرة على الثقة بك.. آيب؟

www.elromancia.com

- بالحديث عن ليلة امس، اسأل، الى اي مدى تثقين بنفسك؟ ضاقت عيناها، وقالت محذرة:

- شريطة أن لا تستخدم الخدعة القديمة في الوصول الى هناك والاضطرار الى مشاركة غرفة واحدة.

ضحك:

- سيكون هذا امتحان لنا.. اليس كذلك؟

- ساخرج على الفور آيب!

- حسن جداً..

تمطى قليلاً، ثم وقف، يلتقط اشياءه ثم يعيدها مكانها

- ما بك الآن؟

- لا احس برغبة في النوم بعد.

- يجب أن تنام.. كم امضيت في العمل؟

- سبع ساعات.

راقبت ظهره وهو يحدق الى الفناء الخارجي المظلم.

- مما قاله بيلي عنك، ما كان عليك، سوى التقاط الهاتف لتحصل على من يساعدك.. على الاسترخاء.

- آه.. لكن كما قلت لك انا لا اريد.. اي شخص كان.. اذن، كان بيلي يكشف لك أسراري الدفينة؟

امالت رأسها جانباً تفكر:

- يظنك بيلي كارثة سائرة على قدمين بالنسبة للنساء ويشعر انك بحاجة للمساعدة.. ووضع نفسه على اساس الناصح لي هذا الصباح.

اصدر كلاماً منخفاً لا يعبر عن الاطراء نحو صديقة القديم.

- وماذا قال لك غير هذا؟

- حسناً.. اصبح لدي انطباع انك كنت ولدا مسكيناً جداً وثريا جداً. واظنك لم تتجاوز ابداً هذه المرحلة.

صمت خطير، تصادمت عيونهما فيه، ثم:

- لا تعتقدي، ولو للحظة واحدة، انك تتعاملين مع ولد كيني..

انخفضت، رموشها، واخذت بشرتها تقشعر، وتمتمت:

- في بعض الاوجه، واضح انك لست هكذا.. لكن قد تحمل عدم قدرة خطيرة، على التعامل مع من يقف في وجهك باية طريقة كانت.

- في الواقع، قد تكوني محقة كيني، لذلك تذكري في المرة القادمة حين تبدين جميلة مترفعة، وتقرري القاء محاضرة عليّ حول مساوئي في نفس الوقت.

اعتمت عينيها الى لون ازرق قاتم غاضب:

- اتهددني؟

نظر اليها ولوى فمه:

www.elromancia.com

- من واقع انني رجل مهذب، وانت حالياً غير ملائمة جسديا، انت سالمة تماماً!

رفعت عينيها الى السماء.

- اذا لم يكن هذا تحويرا للاشياء لتناسب نواياك السيئة.. اسمع لماذا لا تعود الى منزلك؟ لقد حققت ما جئت لتحققه..

- لدي فكرة افضل.. فهناك شيء آخر يمكن أن يريحني.. لنستمع الى بعض الموسيقى معاً. واعد ان اتصرف باقصى الادب.. هل لك مزاج لباخ الليلة؟ ام موزارت؟ اختاري.

حملها الى الصالون، وهي تقول:

- انت مستحيل!

- اعرف.

- وكل الاشياء التي قلتها عنك.

وقف وهو يحملها في منتصف الصالون ونظر بإكتئاب:

- ربما.. لكنني اريدك كيني. اكثر مما اردت شيئاً من زمن بعيد.

ارتجف فمها وفكرت ان تقول: وماذا سيحدث حين تتوقف عن الرغبة بي، وحين تكتشف حقيقتي.. ولدهشتها، ادارت وجهها الى قميصه لحظة، لتخفي عينيها منه.

اصغيا الى الموسيقى، وتحدثا حول اي شيء ما عدا نفسيهما، صنع

القهوة فيما بعد، واراح نفسه وكانه في بيته على الاريكة الصفراء، بعد أن خلع حذاءه، ثم وقع في سبات عميق.

• • •

كان صباح يوم صيف رائع حين التقطها من امام باب دارها في سيارته اليابانية المكشوفة.. وكانت رحلة مستساغة.. توقفا للغداء على قمة تلة في مطعم جميل ثم تابعا السير شمالاً نحو سهول كوفنترى المكشوفة حيث يملك مضيفيهما مزرعة ابقار ومنتجاتها، ومن اصدقاء عائلة غرايدينز القدامى.. وهما يتوقفان في النهاية عند باب منزل ريفي ضخم من طابقين، على بعد اميال من اي مكان ادركت كيني انها لا بد عائلة تنافس في ثرائها ثراء عائلته.

شخصان، رجل وامرأة، مع الأقل ستة كلاب، ظهروا من باب الشرفة الامامية:

- آيب، يا ولدي العزيز.. رائع أن اراك! لا بد انك كيني.. اهلا بك في «بيرد فال»! انا ميرديت ماكلولان وهذه زوجتي ساره.

ميرديت أو سارة ماكلوكان، كانا معاً في الاربعينات من عمرهما، كان ميرديت طويلاً نحيلاً، بينما ساره صغيرة الحجم حمراء الشعر وشخصية دافئة مرحبة. وسارعت تضع ذراعها في ذراع كيني:

- نحن سعداء لمجيئك مع آيب.

قال آيب:

www.elromancia.com

- ارى انكما دعوتما السيدة الكبيرة بنفسها.ضحكت سارة، وقالت بصوت منخفض:

- آيب، حبيبي، نحن لم ندعوها؛ بل دعت نفسها هي اخر لحظة، وتعرف كم صعب أن نرفض لها طلباً.. لكن، آن الوقت لنبحثا الامور معاً.. كما انها.. دعت معها...

ونظرت الى زوجها.. في اللحظة التي ظهرت فيها امرأة في اوج اناقتها، عند السلم، وبدأت تهبطه. وقالت بصوت مهذب:

- لا تزعجي نفسك بالاعتذار سارة، سانحمل اللوم وحدي.. كيف حالك آيب..؟ يبدو من السخف أن انحط الى درجة التطفل كي اراك، لكن، ها انت!

سادت لحظات صمت حدقت الام بابنها وحدق بها، وكان التوتر في الجو ملموساً.. ثم استرخى آيب بابتسامة جافة:

- انت محقة حبيبتي.. يجب ان نتعلم تحمّل بعضنا بطريقة مهذبة.

ردت امه بجفاء مماثل:

- ارجو ان لا تكون غير مهذب معي كما انت في بعض الاحيان ايب. لا نريد أن نزعج احداً.. على فكرة، جئت معي بجوستين.. كانت محتارة ما تفعل هذا الاسبوع.. انها في الاسطبل تتفرج على الخيول والتفتت الى كيني تقول لها مباشرة:

- جوستين وآيب، يعرفان بعضهما منذ سنوات وهما صديقان حميمان.. كيف حالك؟ اظننا لم نلتق من قبل.

رد آيب بسرعة:

- لا.. لم تلتقيا امي.. هذه امي كيتي.. امي هذه كيني رانكيز، وستصبح غرايدي عما قريب.. على اي حال سرعان ما اقنعها بتحديد التاريخ.

مرت نصف ساعة متوترة مذهولة منذ رمى آيب قنبلة، ويجلسان معاً في غرفة النوم المفتوحة على شرفة الطابق الاعلى، المخصصة لكيني..

- لا اصدق هذا.. كيف استطعت؟

اخذ يهتز ضحكاً فصاحت غاضبة:

- توقف عن هذا! كيف تجرؤ؟ اوه.. من بين كل الاهانات و...

- في الواقع.. انت اول امرأة اطلبها للزواج.. وهذا امر لا ينظر اليه عادة كأهانة.

- لكنك لم تطلب مني الزواج! وهذا آخر شيء اقبل به.. لقد اخترعت كل شيء وليد الساعة لتنتقم من امك. لماذا؟ ام.. أن لهذا علاقة بجوستين المسكينة.

- انت سريعة الفهم كيني.. فلها علاقة كبيرة بالامر.. امي تحاول ان تزوجني منذ سنوات، وافضل المرشحات كانت دائماً جوستين. ولا حاجة

www.elromancia.com

لتشعري بالاسف عليها، فهي قادرة على العناية بنفسها..

صمت قليلاً ثم قال فجأة وبحدة:

- لقد سئمت الامر كله.

- استمر في الظن أن لا شيء يمكن ان نفعله يمكن أن يذهلني.. لكنك تستمر في اذهالي.. ولا شيء من هذا له علاقة بي اساساً..

- هذا امر يمكن الجدال فيه، لكن تابعي.

- اسمع.. دعنا لا ندعي انني لن اكون آخر امرأة يمكن ان تتزوجها.. ثم هناك واقع انك وضعتني في موقف مستحيل الى اقصى الحدود.. ولو سألتني، لن تكون جوستين هنه هنا لولا ان لها طموح نحوك.. وهي لذلك في موقف مستحيل ايضاً!

- اسمعي انت.. اوافق أن مسألة الزواج لم تدخل في حسابات احد منا.. لكننا هنا لنسوي مسألة.. نوايانا تجاه بعضنا.. نحن هنا لنوضح الامور.. لنجرب بعضنا..

- لا.. انا هنا لأثبت لك انني قادرة على مقاومتك ومقاومة مالك وعروضك لتجعلني عشيقتك.. رفع حاجبه:

- كيني.. لقد خطر لي لتوي،أن اتساءل ما اذا كان المجيء بك الى هنا ليس جزءاً من حملة خبيثة اكثر مما يمكن لأمي أن تحلم بها.. لتحصلي لنفسك على خاتم خطوبة.

اندفعت لتصفعه بغضب مهتاج، لكنها انتهت بين ذراعيه، ومعصميها خلف ظهرها:

- اعصابك.. اعصابك.. هل اصبت وتراً حساساً؟ أتعلمين.. يوماً ما، احب أن اقبلك وانت ناعمة مطواعة، وتتوسلين.

لم تساعدها دموعها حين اصبحت بين ذراعيه وجسدها يهتز، يضمها اليه بلطف الى أن استعادت توازنها، ثم ابعدها عنه، وبداه على كتفيها.. ثم مسحت عينيها بظهر يدها:

- اسمع آيب.. هذا يكفي.. انا لست ما تظن.. انا..

- او... اعرف ان هناك سر غامض.. لكن، أترين، انا كذلك لست ما ابدو عليه.. افعلي هذا لأجلي كيني.. تماشي معي.. انا لن اتزوج لمجرد ارضاء أمي.. ومن الافضل أن تفهم هذا في اسرع وقت ممكن، كي لا اتعرض الى المزيد من هذا النوع من السخافات.

قرع الباب، وانفتح الباب قليلاً، وسأل صوت غريب، ما اذا كان من الممكن الدخول. صرّ آيب على اسنانه وقال متوتراً:

- اجل جوسلين.. يمكنك الدخول!

جوسلين كانت شقراء طويلة مذهلة الجاذبية.. كانت جريئة، فبعد تقييم لكيني، بطريقة شاملة، حتى الدموع.. ثم جلست على السرير، تقاطع ساقيها، وقالت:

www.elromancia.com

- لقد فعلتها حقاً هذه المره آيب! امك فقدت عقلها، واظنني يجب أن أكون مثلها، لكن، قد اكون ملعونة اذا جعلت نفسي ابدو غبية.. لذلك من الافضل ان تقدمني لخطيبتك، وسآخذها معي لتناول شاي بعد الظهر.. المسكينة ساره وميريديت متوترات جداً..!

وضحكت. فنظر اليها آيب، وفمه مشدود.. فاكملت:

- اوه.. هيا الآن حبيبي! بطريقة او اخرى لانقاذ هذه الحفلة.. فهناك مدعوين آخرين.. واعدك أن لا العب دور الحبيبة المنبوذة او ان انقلب بضراوة شريرة على.. اسمك كيني اليس كذلك؟ استدارت الى كيني.

- كنت تبكين.. أتساءل لماذا؟ شريطة أن لا تكوني اوقعت بايب ليتزوجك، او انه جاء بك من مكان سيء، وشريطة أن لا تكوني صائدة رجال، او ان تكوني مطلقة، او من دين مختلف، او امرأة كاملة.. فمن غير المسموح ان تكوني سوى إمرأة من عائلة غرايدي.. فامه يمكن أن تستوعب الامر..

سألها آيب:

- هل انتهيت؟

- اظن هذا.. هل تركت شيئاً؟

تدخلت كيني:

- اجل.. واشكرك على عرضك، استطيع العناية بنفسي.. في الواقع، انا

عدة من الاشياء من التي ذكرتها.. لكنني ساتركك تخمنين أيها.. وشيء آخر.. انا لم اقبل عرض آيب بعد.. انه كما يقال، فاجأني.. وربما هذا قد يريح امه قليلاً.. وربما ترغبين في تمرير هذا الخبر جوستين؟ سننزل عما قليل.

لكن، لم تنفتح العدائيات بصراحة قبل العشاء.. فالسيدة غرايدي لم تنزل لتناول شاي بعد الظهر، وخرجت جوستين في نزهة، امام ارتياح الجميع، ولو سرا، والضيوف الاربعة الاخرين، فهم يعرفون آيب جيداً، فعلوا كمضيفيهما، وحاولوا جهدهم للترحيب بكيني. ثم اخذوها في جولة على المزرعة، واصبح من المستحيل عليها ان لا تسترخي قليلاً وشمس المغيب تنقلب الى ذهبية، والسكون يهبط فوق السهل والماشية تستعد للاستقرار الليلي.

لحقت ساره بكيني الى غرفتها هذه المرة، وقالت:

- نحن نميل الى التأنق في ملابسنا للعشاء، لكن لا شيء مبالغ به. اسمعي اذا كان هناك ما تحتاجينه، قولي لي.. اي شيء!

- انا بخير.. شكراً لك.

- في الواقع اود الاعتذار.. يبدو أن السيدة غرايدي عرفت من سكرتيرة آيب اننا دعوناه الى هنا لنهاية الاسبوع. فاتصلت بي هذا الصباح و.. دعت نفسها.. عائلتانا صديقتان منذ زمن طويل.. لكن ما تعمدت ان لا تقوله، هو انها ستأتي بجوستين معها.. ولقد فاجأتني بهذا.. ولم اذكر لها

www.elromancia.com

ان آيب سيأتي بك معه.. وما لم يقله آيب لنا جميعاً هو..

التقطت كيني فرشاة شعرها وقلّبتها بيدها:

ـ كلانا في موقف حرج.. السنا كذلك؟ وانت محقة.. وآيب مخطىء اكثر من امه.. لكنني لم اوافق على الزواج منه.. لذلك ارى أن كل هذا مجرد زوبعة في فنجان.

جلست سارة تقول بصدق:

ـ لا شك ان هذا تجربة جديدة على آيب! اتحبينه؟ اوه! سامحيني.. ولا تجيبي.. فهذا ليس من شأني! قالت كيني ببطء:

ـ اذا كان يجب ان تعرفي، انا الآن منزعجة منه.

ـ لكنه صدقاً لم يكن يعرف بوجودهما هنا.

ـ اعرف.. وهل تحبه جوستين؟

ـ لا يجب أن تحبه.. اوه.. كان لهما علاقة رومانسية منذ سنوات، لكن منذ رحيل آيب.. لم يعطها سبباً لتوقع اي شيء. وما ترفض امه الاعتراف به، القبول بواقع انه خرج عن عادته ووجد لنفسه فتاة لا توافق عليها للزواج..

ضحكت سارة وأكملت:

ـ كلاهما عنيد جداً.. كيني.. كيني؟

كانت نظرة كيني ساهية، فاعادتها الى سارة:

ـ اسفة.

ـ هل قلت شيئاً اقلقك؟.. تبدين..

ـ لا.. اسمعي.. اقدر لك ترحيبك لي في هذه الظروف المربكة.

وقفت ساره تربت ذراع كيني:

ـ انه لا يزال منزلنا، بالرغم من ميل عائلة غرايدي الى تجاوز الجميع امامهم.. ساتركك تغيرين ملابسك، ولديك حمّامك الخاص هنا..

كانت في الحمام حين سمعت صوت باب غرفتها ينفتح وينقفل، صاحت عبر باب الحمام نصف المفتوح:

ـ من؟

ـ انا.. جئتك بكوب عصير لينشطك قبل العشاء..

ـ لكنني لم ارتد ملابسي بعد آيب.. لكن لا اظن ان من المجدي أن اطلب منك الذهاب؟

ـ ابداً.. وليس لدينا وقت لأكثر من أن ابقى لأبدي اعجابي بك وانت ترتدين ملابسك.. قولي لي اين اجد لك ثيابك لاعطيها لك من وراء الباب..

ـ لولا كنت اعرف اكثر من هذا، لظننت أن ما بيننا لم يكن.. امر طبيعي بالنسبة لك.

اكملت ارتداء ملابسها.. ثم قال لها:

www.elromancia.com

- جاهزة؟

صمتت قليلاً، ثم عادت تخلع حذائها

- لا.. لا آيب.. لن انزل.

امسك يدها:

- ستأتين معي.

- لكن..

- دون لكن كيني.. ضعي حذاءك مجدداً.. وكوني طيبة.. وتذكري بالرغم من كراهيتك لي، تمر بك اوقات ترغبين فيها.رفعت رأسها تعيد ارتداء الحذاء:

- كما اكرهك الآن! حسناً، سانزل معك.

www.elromancia.com

ـ ٥ ـ

طلب زواج..غريب

كان الجميع بانتظارهما عند اسفل السلم حين نزلا يداً بيد.. واشتدت قبضته حين احس بترددها وتقدم ميرديت ماكلولان للنجدة وقد التفتت كل الرؤوس اليهما، بمن فيهم السيدة غرايدي.. تقوم بابتسامة دافئة.

- كيني.. هل لي أن أوصلك الى مائدة العشاء؟

المائدة الماهوغوني كانت تلمع بالاواني الفضية والكرستالية تحت ثريا رائعة.. ولمعظم الحضور كانت حفلة عشاء مستساغة طبيعية.. كانت السيدة غرايدي متأنقة ساحرة، وجوستين، رائعة في بذلة شبيهة بالرجالية مع ربطة عنق.

لكن بعد إزالة اطباق الحلوى، ووضع الجبن والفاكهة، قالت السيدة غرايدي باسترخاء:

- اخبريني آنسة رانكيز.. ماذا تفعلين باوقاتك؟

التفتت عبر المائدة لترى اصابع آيب الطويلة تلتقط سكين الجبن،

والتقت نظرتيهما لحظة، متسأله، هل اقول؟ إيستحق هذا؟

- انا ادرس في الجامعة لأحصل على درجة ماجستير في حضارات الشعوب، سيدة غرايدي.

- حقاً؟ موضوع غريب.. الديك رغبة في أن تكوني باحثة في هذا المضمار؟

ابتسمت كيني:

- لا.. فهذه دراسة للتحليل والاستنتاج ومعرفة اصول الشعوب.. وها انا مهتمة به حقاً على مناطق محددة في العالم، والتي تؤثر على تقدم هذه الشعوب وحضارتها الحالية.. وهناك مدارس فكرية تعتقد أن هذا يؤثر ايضاً على كل قطاعات الحياة من اقتصادية وزراعية واجتماعية.. وفي الواقع لدي أطروحة أحضرها الآن عن هذا الموضوع، ولأجل الماجستير.

ساد صمت مطبق لنصف دقيقة او اكثر، وكان من الصعب القول من بدا اكثر ذهولاً: ايب غرايدي ام امه.. وهذا ما جعل كيني ترغب في الضحك، ثم البكاء.. وفكرت انه لا بد يظنها قد استظهرت هذا عن ظهر قلب.

لكن امه كانت سريعة التفكير:

- وهل سافرت الى الخارج للدراسة أنسة رانكيز؟

- في الواقع، ولدت في الخارج سيدة غرايدي وفي خيمة ابحاث، كما قيل لي.. والدي، وعائلتي كلها.. كلها من البحّاثة.

وضعت السيدة غرايدي كوب العصير بحدة:

- وكيف التقيت بآيب؟

قال آيب بكسل:

- نحن جيران.. امي.

استدارت اليه:

- اذن لا تعرفان بعضكما سوى منذ اسابيع!

رفع آيب كوب عصيره يحيي كيني:

- لم يستغرق هذا سوى بضع ساعات في الواقع.

- اوه.. حقاً؟

تدخلت ساره تلتفت الى احد الضيوف:

- اوه.. ستان لماذا لا تخبرنا عن رحلتك الى اميركا اللاتينية. لقد عاد ستان لتوه من البرازيل.

كان آيب يجلس الى جانبها على مقعد متأرجح على شرفة غرفته كيني بعد انهاء العشاء.

- هل هذا واضح؟

- ماذا؟

- ان لك عائلة بحّاثة وانك ولدت في خيمة؟

www.elromancia.com

- اجل.

تمتم:

- للحظات وقت العشاء ظننتك ستقولين لأمي عن مارك.

- كنت انوي، لكنني سعيدة انني لم افعل.. فأنا واثقة أن امك تؤمن ان هذا نوع من التشهير.

نظر اليها بقلق.

- من ناحية اخرى، كنت مؤثرة جداً في موضوع حضارات وآداب لشعوب، لكن المرء لا ينال درجة ماجستير بالدراسات فقط.

هزت كتفيها.

- ساتذكر هذا في المرة القادمة.. فامك كما يبدو، لن تستسلم بسهولة. لقد كنت سعيدة جداً الى أن دخلت حياتي آيب.

امسك يدها وحرك الارجوحة قليلاً وقال يغير الموضوع:

- انها ليلة ساحرة..

بعد صمت قصير، اكمل:

- تعالي لتتمشي معي.. لن نذهب بعيداً كي لا نُتعب كاحلك.

- وهل..؟

عضت شفتها، فابتسم:

- احسن التصرف؟. ساحاول.

وبدأ يوم السبت ببطء.

فطار ريفي طويل تمتع به الجميع وبحثوا خطط يومهم، وتنهدت كيني بارتياح حين ادركت أن اليوم سيكون جيداً ومحسوباً له، سيذهب الجميع الى تجمع سنوي ريفي، حيث يجري سباق خيول، ثم عشاء ورقص في مطعم قريب.

بينما بدا آيب طبيعي جداً وقت الفطار لم يمل الى الحديث في اول عشر دقائق من الرحلة، في الواقع لم يقل كلمة. تأثير هذا على كيني كان غريباً.. في البداية ظنته غاضباً.. ثم اكتشفت نفسها تحاول بيأس التفكير بشيء تقوله لكسر الصمت.

اخيراً كسره ساخرا:

- يبدو أن لا شيء نقوله لبعضنا.. اتتمتعين بسباق الخيل كيني؟

ضمت يديها في حجرها:

- لم احبه يوماً.

ادهشه هذا ونظر اليها، فاكملت:

- ثقافتي ناقصة في بعض اوجهها.. ولأكون صادقة لست ادري ما اقول لك.. فانا..

ولدهشتها وجدت صوتها يختنق، وتهددها الدموع.

اكمل القيادة للحظات، ثم امسك يدها:

www.elromancia.com

- اهدأي.

همست، تنفخ من انفها:

- انا.. لا افعل عادة هذا.

ابتسم وترك يدها ليخرج منديلاً من جيبه:

- خذي، استخدمي منديلي.

اخذته شاكرة، مد ذراعه خلفها تلامس اصابعه كتفها.

- لماذا لم تحضري سباق خيل من قبل؟

- لست ادري، ربما نقص اهتمام أو نقص مال.

- حسناً، مما فهمت عن السباق، الامر لمن يرمي المال ماله الى هوة لا قعر لها.. وأنا حريصة على مالي.

- مع انه مسلي.. هل اخبرك خطتي في اللعب؟

- اخبرني اولاً اذا كانت ناجحة.

- كيني.. وهل تعرفين انني استخدم طريقة فاشلة؟

هل اصبحت افضل حالاً.

ابتسمت بضعف:

- اجل

• • •

بعد ساعتين سألت كيني غير مصدقة في حلبة السباق المغبرة:

- اتعني ان هذا كل ما في الأمر؟ تختار ثلاثة رابحين بالتتابع حسب الوان فرسانها!

قال ميرديث من فوق كتفها:

- لا تصدقيه، فهو بارع في الحكم على الخيول.

بدت على آيب البراءة.. ونظرت كيني الى الاوراق التي في يدها وقالت بدهشة:

- وكان يجب أن اعرف هذا، فقد كسبت ثروة صغيرة!

نظر اليها نظرة غريبة:

- صغيرة جداً. مع ذلك تستطيعي شراء العصير لي. وجرها صوب المقهى.

- هل تسليت؟

ارتشفت كوب العصير، وقالت.

- آه.. كنت بحاجة لهذا.. انا عطشى.. شكراً لك تسليت.

- جيد أن اراك متسلية.

صمتا لحظات، ثم سألت:

- كيف ستكون سهرة الليلة؟

- اظن المجموعة ستتضاعف، وهذا ما يحدث عادة في هذه المناطق

www.elromancia.com

إثر السباق، وسيكون هناك المزيد من المرح

لمحت جوستين، محاطة بمجموعة من الناس.

- يبدو أن هذا المكان هو بيئة جوستين العادية.

هز رأسه:

- لهذا توافق امي عليها لكنني اقول صادقاً انني فدخت جوستين كثيراً.

ولا تبدو مسرورة لهذا، مع انني ارى انها تصرفت بشكل رائع في هذه الظروف.. لكن لماذا لا زالت تأمل؟

- لا بد انك نسيت ما عرضتك له بالامس.

ضحكت:

- كنت سافعل الشيء نفسه لها لو كنت مكانها.. لكن لماذا آيب؟

نظر من فوق كتفها الى جوستين، وتغير وجهه:

- لست ادري، مضى زمن طويل لم نتعامل معاً.

للحظة بدا لها وجه بيلي في عين خيالها، وسمعت كلماته التي قالها عن رمي الفتيات أنفسهن على قدمي آيب منذ المدرسة. وقالت دون وعي:

- كان بالامكان أن يكون الامر اسهل لو لم يكن لك كل شيء؟

- ما كل شيء؟

- اوه.. لا شيء.

قال ببطء

- كيني، في الواقع، هنالك الكثير لا املكه.. ليس لدي لكثير من الوقت، ولا الصبر.. وليس لي تحمل للاغبياء او الشفقة عليهم.. وقد كون من النوع الصعب العيش معه.

تمتمت

- ومن الصعب العيش دونك.

لكن قبل أن يعلق على هذا وصلت امه. وقالت آمرة:

- اذهب من هنا آيب.. احتاج الى مقعد، وليس هناك واحد متوفر.

- امي..

تصلبت كيني وقالت:

- اجل، اذهب آيب..

وبدأت ما ان ابتعد آيب.

- سيدة غرايدي.. لا مجال لأن اتزوج ايب في الوقت الحاضر..

رفعت الام حاجبيها:

- في الوقت الحاضر؟

www.elromancia.com

- حسناً ضعي الامر هكذا: لم يكن يخطر ببالي حين رمي قنبلته.

- هكذا اذن.. وماذا لك ضده؟

قاومت كيني رغبة في الضحك:

- انه.. متعجرف جداً، ومعتاد على تنفيذ ما يريد.. نافذ الصبر والقدرة على التحمل.. وأظن العيش معه كالجحيم.

اجفلت السيدة غرايدي. وأكملت كيني:

- والاكثر من هذا، انني انحدر من عائلة عادية بالرغم من غرابة اطوار والدي. واحياناً كنت اضطر للعمل بعض الوقت.

- لكن، يا فتاتي العزيزة.. ملابسك لوحدها! لعنت كيني نفسها وفكرت بسرعة:

- اه.. لدي عمة غنية.. تزوجت لأجل المال، رجل اكبر سناً منها بكثير، وبعد موته تمكنت من التمتع بأي رغبة تريدها.. وهي لطيفة جداً معي من وقت لآخر.

- امر غريب.. ولادة في خيمة، ووالدين مانا في مكان بعيد.. والآن هذا.. لكنني لا اصدق انت لا تجدين آيلونغ جذابا!

- اوه.. بل اجده جذاباً! لكن حين اصل الى عدم قدرته الكامل على تحمل الفشل في اي طريقة كانت، اتساءل.. ربما الامر عائد الى كونه الاصغر والصبي الوحيد.

اجفلت السيدة غرايدي بشكل ظاهر:

- كيف تجرؤين؟ هذا يعني انني افسدته!

قالت كيني بخبث:

- قد اندهشت اذا عرفت انك لم تدلليه وهو صغير. لكنني لا الومك.. اعني لا يمكن لوم احد على مثل هذا.. صحيح؟

قالت السيدة غرايدي بكبرياء:

- في الواقع آنسة رانكيز.. هناك الكثير في آيب من ابيه.. لديه روح المرح، واذا شاهدته مع الاطفال، ستعرفي ان له شخصية اخرى.. قد لا ترينه ابداً.

قالت كيني ببطء:

- نعم.. لكن هناك مشكلة، انه متيم بي.

قالت السيدة غرايدي، ببطء كذلك:

- انا واثقة انه سيتغلب على حبه لك.

- ربما.. وربما قد اكون المناسبة له على اي حال. ماذا لك ضدي عدا ما ذكرت؟

صمتت الام لحظات طويلة، ثم فاجأت كيني بالقول.

- آنسة رانكيز.. كيني..آيب آلمني كثيراً ولا استطيع انكار هذا، بتقديمه لك كما فعل. ولقد كانت ردة فعلي، كأم مثالية، متغطرسة

www.elromancia.com

متعجرفة.. ما انا عليه في الواقع، ام فخورة وارملة. وهذا مزيج قط.. لكنني مثلك، لست عمياء عن عيوب آيب، ولا أنا عمياء عن نوع النزعة التي تدفعه.. ولست ادري اي نوع من الزوجات يريد.. لكنني اعتقد أن عليها ان تكون قديسة. وعليها إما أن تخصص كل وقتها له او تأخذ مقعداً خلفياً.. ولا اريد أن أرى احداً تتزوجه دون أن تعرف هذا.

- لكن جوستين..؟

- جوستين ليست قديسة، كما انا واثقة انها مستعدة لقول هذا بنفسها.. لكنها النوع الاخر من الزوجات قد يناسبه.. فبالرغم من واجهتها.. اعطها الجياد، الكلاب، الاولاد و..احياناً حين يعرف افكار مضهما لفترة طويلة، يتغاضيان عن بعض الخصائص.

- هل.. تحبه جوستين؟

- اظنها تظن انها تحبه.

تنهدت كيني، فقالت السيدة غرايدي:

- هذه ليست غلطتك

- لا.. لا.. لكنني احس..

- ببعض المرارة؟ وانا كذلك. اسمعي، ساقترح على ميرديت ان نتجه الى اقرب فندق حيث ننعش انفسنا قبل العشاء. ما رأيك؟

* * *

كان آيب يقود السيارة في طريق غير معبده باتجاه الشمس في مغيبها، يلحق بالاخرين وسألها:

- كيف جرى الاستجواب؟

ردت بحذر:

- امك وانا توصلنا الى تفاهم.

- اخبريني.

- لا.

- انت لم..

- لم اخبرها عن مارك.

- كيني.. ساتوقف هنا وابقى الى أن..

جلست ساخطة:

- حسن جداً! قلت لها انني لست الزوجة المناسبة لك.. لا.. في الواقع قلت لها انك لست الزوج المناسب لي.. وتبادلنا حديثاً مرحاً حين تعجبت لهذا وفي النهاية توافقنا.. وهذا كل ما ساقوله لك.. توقف اذا رغبت! فلست أهتم.

وتوقف. فاغمضت كيني عينيها وقالت من بين اسنانها:

- انت تتصرف كطفل!

- ظننتك قلت انك لا تهتمي؟

www.elromancia.com

استدارت اليه ساخطة:

- آيب..!

لكنه كان يضحك عليها. وتمتم:

- اسف.. كنت امازحك

وانطلق بالسيارة مجدداً.

- اتدبر شيئاً آيب؟

- ولم السؤال؟

- بسبب روح مرحك..

- اه.. لكن... احتاج الى فرصة راحة.. انت معي الآن، وستكوني معي طوال يوم الغد، وجزء كبير من يوم الاثنين.. في الوقت الحاضر انا قانع.. وربما لا تعرفيني بقدر ما تظنين.

• • •

كانت ترتب نفسها، وتسرّح شعرها في غرفة في الفندق حين اطلت ساره برأسها وسألت:

- مستعدة كيني، نحن على وشك الخروج الى المطعم واخشى أن تكون المجموعة قد تضاعفت ثلاث مرات لكن الجميع من اللطفاء!

وكانوا فعلاً لطفاء.. لكنهم كذلك كانوا صاخبين مرحين ومليئين بالحيوية.. ولم يكن هناك لحظة ملل وقد رحب المجتمع بها في

وسطهم.. بعد العشاء وقعت الى ان عاد كاحلها يؤلمها.

وجاء آيب لنجدتها.. طبيعة الحفلة منعت من اية لحظة حميمة. لكن لا بد انه شاهدها تعرج في حلبة الرقص، فقد تقدم يأخذها من الرجل الذي كانت ترقصه.

وقالت لآيب:

- لا استطيع تحمل خطوة اخرى آيب:

- اعرف.. وفكرت ان نعود فمعظم هؤلاء سيبقى محتفلاً حتى الصباح..ارتغبين في هذا؟

- ابداً.. كيف يتمكنون من هذا؟ السباق، قيادة السيارة..

وهزت رأسها.

- انهم لا يفعلون هذا دائماً، لذلك يتمتعون قدر ما يستطيعون.. اجلسي هنا.. ساعتذر.

وابتعد يسأل عن ميرديت وسارة.

في السيارة ووهما عائدان الى «بيردڤال» نامت، ولم تعي انهما وصلا الى أن فتح الباب ورفعها بين ذراعيه، فقالت تحتج وهي ناعسة:

- اوه.. استطيع السير.. هل نمت وقتاً طويلاً؟

- حوالي عشرين دقيقة:

حركت ذقنها على سترته وقالت دون تفكير:

www.elromancia.com

- اسفة.. لطالما احلم بمن يحملني ويجعلني احس انني خفيفة كالريشة.. لكنك اول رجل يفعل هذا..

لم يعلق على كلامها الى ان اصبحا في الداخل، ووضعها فوق الاريكة، ثم قال:

- اذا كان هذا حميما كيني. فقد اكون الرجل الاول الذي.. يفعل لك اشياء..

طار نعاسها وجلست تفرك عينيها:

- انا ما عنيته.. كل الفتيات لهن احلام سندريلا.

- اريد أن اعرف بنفسي..

كان يقف امامها، يحدق اليها، وبدا طويلاً قاسياً..

- ما الذي شتت احلام طفولتك.. اتودين قليلاً من القهوة؟

- شكراً لك.

حاولت تفهم مزاجه، وادركت برعب كم هما وحيدان هنا.. خلعت حذائها ودعكت كاحلها.

- دعيني القي نظرة.

- انه بخير.

وضع اليها بمسند تحت قدميها:

- لا يضر لو رفعته قليلاً.

تمتمت:

- شكراً.. ما احتاجه حقاً، هو حمام حارّ طويل.. لأغسل الغبار. شكراً لك.

تشكرته ثانية حين وضع القهوة والبسكويت امامها، وخلع سترته يجلس في كرسي قبالتها.

ساد صمت طويل، وزاد توترها، لتجد نفسها تقول:

- انا مختلفة آيب.. وكنت مختلفة وانا صغيرة..

- يبدو أن لا فارق كبير، فقد قلت بنفسك ان معظم الفتيات يحلمن.

- اوه.. ذلك الامر.. اجل.. لكن هذه المرحلة لم تأخذ طويلاً من حياتي.

- كيف انت مختلفة اذن.. كيني؟

لكنه، هو الآن مختلف.. لقد شاهدته يضحك، ويمرح اليوم.. واحياناً بخبث.. في وقت كانت دائماً تراه مريض المزاج بشكل خطير.. وفي خط الهجوم دائماً.

وقالت ترد عليه:

- حسناً.. لست التجسيد لفضائل النساء، وقبل ان تعلق على هذا، اعني بالنسبة للمهارات المنزلية. ولأكون صادقة، انها تضجرني حتى السخافة.

- مع ذلك كنت تبدين التجسيد لفضائل ومهارات نسائية اخرى.. انت

www.elromancia.com

جيدة جداً في الفراش مثلاً.. دعينا نسمي الاشياء باسمائها.

لم ترد كيني، لكن شعلة غضب برقت في عينيها قبل ان تشيح بوجهها:

- لك عقل غريب ملتوي آيب.

- فكرت بهذه النظرية، ولقد جعلت من الصعب ان لا اصدقها.. راقبتك اليوم ولم ارى اي دليل على اي شيء.. بدوت ناضجة، ذكية، ودودة، لك تفكير مستقل.. واذا كان اي شيء آخر، فالعكس ينطبق عليك، ولا استطيع سوى أن اتساءل عن السبب وانت ما انت عليه.

- لنقل.. انني كنت في افضل تصرف لي اليوم.

ضاقت عيناه:

- اذن.. هناك الطريقة التي تثورين فيها غضباً احياناً حين نناقش هذا.. وهذا ما يقودني الى السؤال اذا ما كنت اقترب من الحقيقة.. مثل الآن.

عضت شفتها.

- يجب ان تخضع نفسك الى علاج تقويمي.. فانت محام ولست عالم نفس.

- بل انا رجل محتار، اضافة الى انني محامي.. لهذا ابحث عن النظريات واحملها لأجد الحلول.

- حسنا.. لنأخذ نظرية من نظرياتك الخاطئة.. لا اظنك تستطيع الحكم

على امرأة حسب المظاهر، او على رجل.

- ليس لمجرد المظاهر، بل الاحساس، فالنساء يملكن احساساً خاصاً، وانا واثق انك ستقولي لي ان الرجال لهم مثل هذا، وبالطبع انت حكم افضل في هذا المضمار، وقد لا تكوني.

هزت كتفيها.

- لكن، بكلمات اخرى، تظن نفسك خبير بالنساء آيب؟

مرر يده في شعره مكشراً.

- لدي بعض الخبرة.. مثلاً اعرف متى تكون المرأة متعبة، لكن مسترخية.. ومتى كان هناك هدوء وعتمة.. يمكن للرجل والمرأة، أن يكونا في حالة حب رقيقة حلوة.

ردت باضطراب

- انا واثقة من هذا.

- لماذا لا نفعل؟

- ليس في منزل الاخرين.

ابتسم:

- واين يمكن أن نفعل هذا.. كيني؟

- في الظروف الحاضرة.. لا مكان.

اللعنة.. لماذا لا اقول ابداً؟

www.elromancia.com

- لست ادري اذا كان هذا يعطيني الامل.

- لا.

- اذن، صغت كلامك بشكل سيء.

- اعرف.. وما عنيته..

لكنه قاطعها بضحكته، فاغمضت عينيها ساخطة.. فقال بهدوء.

- اخبريني.. ليس لماذا او تظني نفسك انك لا تستطيعي، بل اذ ما كنت تستطيعي.. ايمكن؟

رفعت رموشها ونظرت اليه، ولم تستطع منع نفسها من ترك تخيلاتها ترفض بجنون. واحست بالعتمة الساكنة تطبق عليها.. تخيلت المزرعة وهي تلمع تحت اشعة القمر الفضية، وفكرت بغرفة نومها، وكأنها الواحة المضيئة بانوار ناعمة وسط صحراء من الظلمة، وآيب يعانقها، ويمرر يديه عليها.. تمتمت بعذاب:

- انا.. سامتنع عن التعليق.

تمتم بدوره.

- لست بحاجة للتعليق، فعيناك تفضحانك. وقفت بسرعة، تلتقط حذائها.

- بامكانك التنظير قدر ما تشاء، فانا ذاهبة الى الفراش..

- لم تكن نظرية.. لكنها تقودني الى نظرية.. ربما لم يضع رجل يده

عليك حقيقة واشعلك بعد، كيبي.

- لا تراهن على هذا.. عمت مساء.

وقف يتقدم نحوها:

- مهلك لحظة.

- آيب.. لا.. انا متعبة.

- وماذا تظني انني سافعل؟

- لا اعرف..

لم يحاول لمسها، بل وقف امامها، يترك العنان لعينيه أن تطوفا عليها، ثم تأسران نظراها.. وكيف توصل لهذا لا تدري، لكن النظرة في عينيه كانت بقوة الاحساس بيديه على بشرتها، بقبة عليها، وكأنهما عالقان في معرفة حميمة لبعضهما على اساس لا يمكن انكاره.. ولزمها جهد غير انساني لأن تنتزع عينيها بعيداً عنه، في النهاية.. وتتعثر في طريقها نحو السلم.

www.elromancia.com

ـ ٦ ـ

غلطة من؟

قبل أي شيء كان هناك ترحاب آخر لهما على المرجة الملاصقة للمنزل، حيث كان الشواء يتصاعد منه الدخان.. وطاولة كبيرة ممدودة تحت مجموعة كبيرة من الطعام والشراب.. كان الجميع ممدد على كراسي نوم، وجو من الأسترخاء اللذيذ يسود الجميع بينما كانت كيني تتقدم يدا بيد مع آيب.

وقف ميرديث متأوهاً:

ـ لماذا لم نعد معكما باكراً؟ ماذا استطيع ان يقدم لكما من شراب؟ هناك ما تريدان، أطلباه تجدانه!

ضحكت جوستين بصوت منخفض وتمنت كيني بصدق أن لا يلاحظا أحدا الإحمرار الذي أحسته يغزو وجهها.

ـ لا بدا إنهما يشعران بالوهن.

قالت جوستين وأجفلت كيني، وقد فهمت ما تعنيه الفتاة.. المتشوقه

ربما لإثارة مشكلة هذا الصباح..

تقبلت جوستين كوب العصير المثلج، وجلست بين سارة والسيدة غرايدي، وهذا أبعد ما يمكنها عن جوستين.

قال آيب متشدقا يرفع كوب عصيره:

ـ أوه.. لا أظن كيني يوهمها شيء.. في الواقع أستطيع القول إنها سيدة قوية.. نخبك كيني رانكيز.

بالرغم من إنخفاض صوته، كان فيه غطرسة واضحة.. لكن الجميع أخذ يتحدث، ومرت لحظات قبل أن تتمكن كيني من إنتزاع عينيها من عيني آيب الساحرتين.

سألت السيدة غرايدي كيني هامسة:

ـ أوه.. عزيزتي.. لست أفهم.. ما الذي جرى؟

ردت من بين أسنانها هامسة:

ـ إنك يحس بالخذلان.. هذا كل شيء سيدة غرايدي ولا تدعي الأمر يزعجك فقد يكون هذا الشيء جيد لمصلحة نفسه.

كان هناك لعبة تنس محددة لبعد الظهر، في مزرعة قريبة.. لكن كيني لم تكن راغبة في الذهاب. في الواقع، فكرت جدياً أن تطلب من سارة إعادتها إلى لندن بطريقة ما.. حين قالت بشيء من عجرفتها:

سأخذ كيني معي بعد الظهر إلى ملعب التنس.. لدي مكان واسع في

www.elromancia.com

السيارة.. وبإمكان آيب أن يأخذ جوستين معه.

وهذا ما سبب بتوتير المجموعة مجدداً. ولم يبدو واضحا، رأى آيب من خلال نظرته الضيقة إلى أمه.

لكن كان هناك تفسير لما فعلته.. وهذا ما شرحته لكيني وهما عائدتان.. وكانت كيني تحس بالصدمة وهي تجلس في السيارة الكبيرة. وقالت السيدة غرايدي:

- يجب أن أعتذر على ما جرى في «بيردفال».

- أرجوك.. لا داعي لهذا!

- أعرف أن لا داعي لهذا! لكنني على أي حال أعتذر.. أفهم إنك أنهيت علاقتك معه، ولم يتقبل الأمر مع أنني أجد تلميحاته غريبة.

لم ترد كيني. فأكملت السيدة غرايدي:

- سبب إرسالي لجوستين معه كما شرحت له لأنني أعتقد إنهما يجب أن يتحدثا لوحدهما.. جوستين فتاة صريحة.. وآن الوقت لتطرح قضيتها ويطرح قضيته.

- وهل شرحت هذا لجوستين أيضاً؟

- أجل.

هزت كيني رأسها:

- أنت تذهليني سيدة غرايدي.

- ولأكون صادقه أنت تذهليني أيضاً.. لا زلت لا أستطيع التصديق إنك لا تريدينه.. هل أنت ممتنعة عن الزواج؟

- لا.. لكننا لا نناسب بعضنا، وهذا كل شيء.

- همم.. وهل أنت مهتمه بالتنس؟

- أبدا.

ضحكت المرأة المسنة:

- في كثير من الأوجه أنت فتاة تأسرين قلبي.. فأنت صريحة.. حسنا.. وصلنا..

ووصلنا حقا وجلست كيني تراقب اللعب.. كيف ورطت نفسي بكل هذا؟

- أعطيك قرشا لأفكارك؟

واندست جوستين إلى جوار كيني فجاوبت ببطء:

- كنت أتساءل، ما إذا كنت سأستيقظ فجأة وأجد أن كل هذا مجرد كابوس.

ضحكت جوستين بهدوء:

- آيب.. رجل خطير إذا غضب.. وأنا أسفه على ما قلته لك يوم وصولك.

- لا.. أنا ألأسفة على وجودي هنا.. ما كان يجب أن إجيء معه..

www.elromancia.com

ليس لأنني كنت أعرف ما سأتسبب به، لكنني وافقت بإدعاء مزيف على أي حال.

فكرت جوستين قليلاً:

- على الأقل نتج شيء جيد من كل هذا.. لقد خلصت نفسي من كل الأوهام التي كنت..

- جوستين...

- لا.. كيني، الله وحده يعرف من سيتزوج.. لكن ليس أنا بالتأكيد.

- وهل كان.. كان..

لم تستطع إخراج الكلمات، فضحكت جوستين.

- كان غريب الأطوار، وناعما تماما.. والطريقة التي وضح فيها الأمر إنه عازف عن الزواج في الوقت الحاضر.. وربما مدى الحياة.. لأصدق هذا، لكنني اعتقد إنك أثرت عليه أكثر مما كان لي تأثير عليه.. وبالطبع رفض الإنجرار إلى الرد حين سألته عنك.. وعالج الموضوع كله بلطف لا شائبة فيه، بما فيه الواقع المحرج، بأنه لم يعطني سببا للأمل لسنوات، وأنني سمحت لأمه بإقناعي بالمجيء إلى نهاية الأسبوع هذه معها.. لكن هذا بالضبط ما جعلني أنهم، وأفتح عيني حقا.. لن يكون متوددا لك كيني، مع أنني كنت مستعده لأي شيء في سبيل أن أكون في نفس الوقت معه. لكنني أعرف الآن، أن لا حظ لي.

قالت ببطء:

- أتساءل عجبا من تكون. هزت جوستين كتفيها ونظرت إلى حيث يجلس آيب مع أمه، مستغرقان في الحديث، ثم نظرت إلى كيني غير قادرة على إخفاء الفضول من عينيها.

بعد المباريات أعادها آيب إلى بيردڤال.

- فهمت أن التنس لا يستهويك كيني.

- لا.

- وما هي أذواق وقت راحتك؟

- أظن أن هناك حاجة لأن نتحدث في هذا!

تمتم:

- جاريني فقط.. لم يبق لدينا سوى الليلة هنا، ثم نعود إلى لندن في الغد.

- ولماذا أجاريك؟ لقد قلبت هذه العطله إلى كابوس لي بطريقة ما.. عوزك للباقة، أخلاقك السيئة.. أوه.. لا.. لقد آن الوقت ليتوقف الناس عن مجاراتك.

- إذن، دعينا نناقش ظاهرة غريبة.. أمي موافقة عليك.

كانت تضحك!

- أمك ليست بالسوء الذي ظننته في البدايه مع ميل قليل إلى التطفل،

www.elromancia.com

كما لا بد جوستين تشهد بهذا.. لكنها ليست عمياء إعنك. وعلى الأرجح تظنك غير قادر على أن تجعل مني ممسحة أرجل، وهي محقة، لكن في الواقع، لأظنها قادرة على إحكام أكثر من هذه في المسألة.

قاد السيارة بصمت لفترة، ثم سأل:

- كم تظن أن دراستك ستأخذ من وقت؟

- بالمعدل الذي أسير فيه.. أكثر بكثير مما خططت.

قال بابتسامة ماكرة:

- آسف إذا كنت قد ألهيتك.. إذن.. رحلة مارك كانت نعمة لك في الواقع؟ وكيف سينصرف حين تكوني مسافره لأكمال أبحاثك.. أتساءل؟ أم إنك تغيرين الرجال ليتناسبوا مع رحلات الدراسة؟

نظرت إليه ببرودة رأيقت شفتيها مفغلتان ثماما.. فتابع متأملا.

- بدأت الآن أعجب لعائلتك الغريبة الأطوار.

- قلت لك.. أبواي ميتان.

- وماذا عن عمتك الكريمة؟ أم إنها كانت مجرد إدعاء لتسكين حساسية أمي؟

- لا.. إنها موجودة.

- كما وصفتها؟

- أكثر أو أقل قليلاً... آيب أظن إننا قلنا كل ما هناك ليقال... وأنت

محق. بقي لنا الليلة نمرّ بها.. وأحذرك، بكل ما فعلت.. إذا كان لديك خطط أخرى لأذلالي أمام أصدقائك وأمك.. فلا تندهش إذا رددت عليك منتقمة.

- وكيف تقترحين أن نتصرف الليلة كيني؟.

- لست أدري.. ولا أصدق نفسي إنني قبلت المجيء.

أوقف السيارة في الفناء الأمامي لـ«بيردفال» والتفت إليها، يسند مرفقه على المقود. وقال بهدوء يضع أصابعه تحت ذقنها:

- لكنك جئت.. لأنك لم تستطيعي المقاومة، ولا حتى خوفك مني أوقفك.. على الأقل إعترفي بهذا.

- لم أكن أعرف إنك لا تستطيع التصرف كسيد مهذب، لكنني أعرف الآن. وأنا لا أعترف..

- كيني... الله وحده يعرف على ماذا نتقاتل، لكننا مستغرقان عميقا في خصامنا لنفكر أفكارا مهذبة.. إنها الحرب، في حال لم تدركي هذا.. وأنت حرة لإظهار أسوأ ما فيك الليلة.. كما سأفعل لو أن مزاجي حكمني.

سألت بيأس:

- لماذا؟

- قلت لك.. لأنني أريدك.

www.elromancia.com

- لكنني لا أفهم.. من بين مئات وآلاف النساء اللواتي بإمكانك الحصول عليهن.. لماذا أنا؟

- قلت لك... لأنني أريدك.

- آيب.. لو رأيتني منذ شهرين.. لما نظرت إلي مرة أخرى.

- أتراهني؟ألا تدركين إن أساس جاذبيتك تكمن في نوعيتك التي لا تقبل اللمس، وفي عينيك إشارتك، الأشياء التي تقولينها، وكيف تنظرين أعتقد أن هذا كل ما تعنيه بمظهرك منذ شهرين؟

لامس وجهها بأصابعه:

- لكن لا تستسلمي دون قتال.. فأنا أتمتع بالمعركة.. لكن لا تنسي: حرب الكلمات شيء، وحرب المشاعر أمر آخر تماما.. فالمشاعر تميل لأن تتحدث عن نفسها..

إستلقت كيني في المغطس، تزيل عن نفسها غبار الطريق، تحاول التأهب للمجابهة القادمة.لكن، كان عليها أن تعترف أن آخر جزء من آخر مجابهة كاد يطيح بكل دفاعاتها. فلماذا؟ ليست فتاة غير مجرّبة.. وتقنيتها بالإبتعاد نجحت جيدا ولوقت طويل.. لكن من الواضح إنها لم تعد ناجحة الآن.. وهي بنفسها سبب الفشل بقدره هو. هي التي أرادت قطع تيار الجاذبية بينهما، هي من كانت تشغل أفكارها بشكل خطير بالزواج، لكن ليس بالصورة التي يراها هو.. هي من كان لها شكوك خطيرة حول أي مستقبل مرضي بينهما..هي من عرفت إنها ليست مؤسسة على أن

تعطي نفسها بسهولة.. وأن مجموعة الفشل كان نتيجة لما تفكر به.. هكذا كان السؤال: لماذا لا تستطيع الإبتعاد عن آيب.. ولماذا جائت معه؟

كان عشاء بسيطا هادئا.. وأمسية مسترخية. جوستين لعبت البيانو قبل أن تذهب للنوم باكرا. ولعب الرجال الورق، بينما جلست السيدة غرايدي مع كيني تتحدث بأشياء خفيفة..

- الديك هوايات كيني؟

إبتسمت كيني:

- أنا لا اعرف شغل الإبرة سيدة غرايدي.. أحب القراءة، الإستماع إلى الموسيقى، وأحيانا أرسم.

وضعت سارة بعض الموسيقى وقالت لميرديت مازحة.

- تعال أيها العجوز لنرقص.

تعالت صيحات الإجتماع بأن الجميع رقص إلى حد الإرهاق في الأمسية السابقة، وقالت سارة إن ما فعلوه بالأمس كان له علاقة برقصات الحرب الغنائية أكثر من أي شيء آخر.

وقفت كيني تفتح فمها لتعتذر وتذهب إلى النوم، لكن آيب وقف إلى جانبها، وقرأ أفكارها بالضبط، وأمسك يدها قائلا بسمة خبيثة:

- لا.. لن تذهبي.. فحتى المقاتلون المحترفون يلزمهم بعض

www.elromancia.com

الراحة.

وسحبها إلى الرقص على أنغام الموسيقى بالطبع كان يرقص بنفس البراعة التي يفعل فيها أي شيء آخر.. وبطريقة ما، لم تعرف ما إذا كان هو أم الموسيقى، سبب تلاشي توترها.

رقصا كل أنواع الرقص القديم بحرج وخفة ونفذ رقصة منفردة قديمة جعلتها تفهم ناحية جديدة منه.. لكن لا يجب أن تكون جديدة فقد تذكرت ما أخبرها بيلي عنه وأمه أيضا.. لكن إلى أن شاهدت بنفسها، لم تكن تعرف حقا مدى ما هو عليه من مزيج متعاكس متفجر.

توقف أمامها وسط التصفيق:

- كيني؟ رقصة أخيرة؟

نظرت إلى عينيه، وأحست بخيوط قلبها تتحرك، وجدت نفسها تود القول له تعال معي إلى غرفتي فأنا أيضا يمكنني أن أعطي الحب الحلو الناعم، والحب المتوحش إذا أردت.. لكنها أخفضت رأسها متمتمة:

- رقصة واحدة فقط.

طلبت جوستين منهما أن يوصلاهما إلى لندن في الصباح التالي. فالسيدة غرايدي كانت ستبقى عند أصدقاء آخرين في المنطقة.. بالرغم من إحساس كيني القلق، فقد كانت سعيدة برفقة جوستين.

لم يتوقف آيب في الطريق إلى لندن.. لكن بعد إيصال جوستين سأل

آيب كيني إذا كانت تمانع لو توقف قليلا في مكتبه ثم فاجأها سؤالها إذا كانت تحب أن تتعرف إلى مكان عمله. ترددت ثم وافقت.

عادا للإنطلاق بصمت لفترة.. ولم ترغب في قطع انشغاله الواضح بالتفكير. لكنه فاجأها بالسؤال عن رحلاتها وكيف تجمع معلوماتها.. وأضاف:

- هل تهتمين حقا بدراستك؟

- أجل.. لا بد من هذا.. فقد أمضيت آخر عشر سنوات أدرس وأجوب العالم، ولقد كان هذا شغف إلي على أي حال، فقد كان متخصصا بالإختصاصات الإجتماعية وأظنني تعلمت منه وأنا في المهد.

- كيني إذا حصلت على دراستك الجامعيه، فماذا ستفعلين؟

هزت كتفيها وهما يدخلان شارعهما وفتحت فمها لتقول إنها ستقدم لمركز مستشارة، لكن فمها إنفتح أكثر حين توقفا خارج منزله خلف سيارة جاكوار حمراء مألوفة.. نظرا إلى بعضهما ثم أدارت نظرها وهي تقول باندواخ:

- لا بدا إنها مارج..

- إذن هذا هو إسمه وليس مارك؟.

- لا..

www.elromancia.com

- كيني.. لا تدخلي.. تعالي معي الآن.

- إسمع آيب، أنت لا تفهم، سأشرح لك. كنت أنوي..

- وماذا ستشرحي؟ لا شيء لا أعرفه.. ولن أطلب منك ثانية كيني.

بدا لها أن لسانها يحاول منع كلامها:

- الأمر ليس.. إسمع آيب. لا أستطيع.. لكن..

- تعني أنك لا تريدين.. حسن جدا.

فتح الصندوق، أخرج حقيبتها، ورماها على الرصيف، ثم قال:

- لكنني سأدخل معك.. في حال إنقلب إلى العنف وكنت تخدعين نفسك.

لم أكن أخدع نفسي.. أعني.. أوه.. اللعنة.. آيب، مارج ليس ما تظن، إصغي إليّ.. أعلم أنني كان يجب أن أقول لك من قبل..

- هناك شيء واحد أود سماعه كيني.. أما أن تقولي بصراحة إنك تريديني كما أريدك، وإما أن توفري أنفاسك.

إبتلعت ريقها:

- لا..

نظر إلى عينيها، ثم أخذ يشتم بحدة وعنف، وعاد إلى سيارته لينطلق وتتصايح الإطارات.

صوت مألوف قال من ورائها:

- حبيبتي! يا لها من إثارة!

إستدارت كيني تنظر إلى عمتها الرشيقة، وقالت والدموع تنهمر فجأة على وجنتيها.

- إنها غلطتك بالكامل!

www.elromancia.com

ـ ٧ ـ

الحقيقة

جلست كيني على مائدة الفطار، بينما اخذت مارج تحضر الشاي.

- أتشعرين افضل حالاً؟

- اجل.. شكراً لك... وبالطبع لم تكن غلطتك.

قالت مارج بحذر:

- سأكون الحكم الأفضل لو عرفت ماذا يجري. اعرف انه كان آيب غرايدي.

- اجل..

- اذن، سعى وراءك بعد الحفلة؟ أهذا ما حدث؟

- لا.. لم يسعى الي.. ولم يفتش عني شكل خاص..بل إنتقل ليسكن في المنزل المجاور.

- إذن؟

لا استطيع لومه بالكامل.. فقد اعتقد انني امرأة.. يصرف احدهم

عليّ، في مقابل... تعلمين مارج...

قطبت مارج:

- أمر لا يصدق! انت من بين كل الناس.. لماذا؟ تابعت كيني تقول لها التفاصيل، احيانا كانت عمتها تضحك بشدة، ثم كانت تمسح عينيها:

- اوه.. عزيزتي.. عزيزتي..! انا آسفة.. إسمعي.. أفهم كيف فهم بشكل معاكس، وكيف قررت تلقينه درسا. وكنت سأفعل مثلك لو كنت مكانك.. لكن يبدو لي أن الامور خرجت عن السيطرة فلماذا لا تخبريه الحقيقة؟

- كنت سأفعل هذا الصباح. وكنت أحاول في الخارج لكنه لم يسمح لي بقول كلمة، وشاهدت كيف قاد سيارته!

- وهل وقعت في حبه؟

وقفت كيني تنظر الى الفناء الخارجي لبعض الوقت ثم قالت اخيرا..

-لست ادري.. وكيف لي أن أعرف؟ قد اكون واحدة في صف طويل من النساء التعيسات الحظ..

- أو يمكن أن تكوني صادقه مع نفسك كيني.. وصادقه بما يكفي لتعترفي بالسبب الذي دعاك الى المضي بهذا الخداع لفترة طويلة.

نظرت كيني الى عيني عمتها ثم جلست:

- حسن جداً.. لكن اعتقد أن هناك مستقبل لنا؟

www.elromancia.com

- يبدو لي أنك أسرت اهتمامه، اتظني صادقة إنه مفتون فقط بوجه جميل؟

ردت كيني ببطء:

- لا.

- اذن اعطيه الفرصه ليبرهن لك شيئاً! حبيبتي اسمعي.. من يستطيع أن يعدك بسعادة أبدية؟ لكن هذا لا يعني أن تكوني جبانة.. في اية ظروف اخرى لا يمكن أن تكوني متشائمة هكذا.

- هذا لأنني قادرة على التعامل مع اية ظروف اخرى.. اما هذا... فأمر مختلف.. لكن قولي لي لماذا عدت؟ لم أكن اتوقعك قبل اشهر.

- لقد عدت.. وما سأقوله سيدهشك، لقد التقيت مثيلى في الخارج.. وأنا.. سأتزوج ثانية..

- أوه.. اذن هذا هو..

- سبب وعظي لك؟ ربما.. أترين، لقد حصل لي هذا حين ظننت انه لن يحصل.. لقد وقعت في الحب وأنا أقارب الأربعين.. وقعت في الحب مع أرمل له ستة أولاد من الثامنة عشرة حتى الثامنة، ويعرف كل شيء عني، ولا يمانع!

- مارج.. يبدو إنه بحاجه الى أم لأولاده، والى مالك! فهل أنت..؟

- لديه مال كثير.. لا كيني.. إنه يحتاج اليّ. لذا عدت لأنهي كل

شيء هنا وأعود بعد شهر.. فماذا ستفعلين؟

- مارج، اذا كان كل هذا يناسبك فأنا سعيدة لأجلك. ويجب أن تخبريني كل شيء عنه..

- ماذا ستفعلين كيني؟

- انا.. سأقابله وأقول له الحقيقة! هذا.. كل ما استطيعه.

لكن، مر اسبوعان قبل أن يحدث هذا.. لأنه ببساطة لم يعد الى منزله.

بينما هي تنتظر كانت قصتها هي التي تبقيها عاقلة فنصيحة مارج تملكت تفكيرها مع إنها أخافتها حتى التوتر.

ثم عاد الى المنزل في احد الليالي وهي لوحدها، وشاهدت النور يضيء الفناء من نافذة في الطابق العلوي.. حين تفحصت الشارع وجدت سيارته هناك.

مرت ساعة قبل ان تشجع قواها وتفرع بابه.. ومرت فترة قبل ان يرد.. ثم فتح لها بنفاذ صبر ظاهر وبصوت حاد.

- نعم؟

وجدت نفسها دون شيء تقوله وهي تنظر إليه آثار التعب على وجهه.. ثم قال ساخرا:

- حسن جدا كيني... الى ماذا أعيد شرف هذه الزيارة؟ ألن تدخلي؟

www.elromancia.com

ـ أجل.. جئت أشرح لك.. بعض الامور.. آيب ارجوك.. تحملني قليلا.

تنحى جانبا ليدخلها، وتمتم:

ـ طبعا. أظنك تعرفين طريقك.. كنت في المطبخ ام أن هذه زيارة رسمية؟

ـ لا.. المطبخ يناسب تماما.

كان يتناول واحد من أطباق السيدة التي تنظف بيته، وعرض عليها تناول شيء منه.. ثم قدم لها كوب عصير:

ـ ربما هذا يريح أعصابك.. أتمانعي في أن أكل عشائي؟

ـ تفضل.. آيب، هذا لن يكونّ سهلا.

ـ أتصور هذا.

ـ لا أظنك قادر على التصور.. فأنا.. كذبت عليك. أنا لست ما تظنني.

ـ أوه؟ وفي أي سياق؟

ـ ليس هناك مارك، ولم يكن هناك أبدا.. ومارج هو إختصار مارغريت، وهي عمتي. وهي التي تملك المنزل.. سافرت إلى الخارج بعد وصولي مباشرة من أمريكا اللاتينية، وبكل لطف.. اعارتني المنزل والسيارة ايضا، لكنني رفضتها.. ولهذا بعثتها لي مع السائق. اما بالنسبة لسمعة المنزل

بالنسبة للسيدة عبر الشارع.. فهي قد إختلفت الامور عليها.. لكن عمتي... حسنا.. هذا من شأنها.. ثم إنها عادت كشخص مُختلف.

توقف عن الطعام.

ـ إذن، أنت تقولين لي إنك سيدة لا تشوب سمعتك شائبة، كيني؟

ـ شيء من هذا.. على الأقل بالمقارنة مع ما كنت تظن.

قال ببطء:

ـ مع ذلك تركتني استمر.. لماذا؟

كنت.. ونجحت بما فعلت.

ـ اجل.. اعرف، ولا أشعر بالفخر لهذا.. لكن.. حاولت القول لك عدة مرات، لكنك كنت تثير غضبي ثانية وثانية..

ـ هذا يفسر الأمور.. إذن لا سر قائم عميق، وأنا من دون شك يجب أن أشعر بالغباء.. حقا.. والى أين نتجه من هنا؟

التقطت كوب العصير وشربت منه قليلا:

ـ لست ادري.. أنا.. ربما من الأفضل أن اذهب..

ـ لا تدرين.. تذهليني كيني.. أهذا كل ما لديك لتقوليه في هذا الموضوع؟

اهتز صوتها:

ـ آيب..

www.elromancia.com

أدركت أمرين: إنه غاضب جدا، لكنه غير مندهش تماما من كشفها، وهذا ما لم تفهمه، وقال:

- واقع إنني لم أستطع الحصول عليك، غرائزي الاساسية التي نظرت إليك كصيد مباح، مبادئي المزدوجة كلها أشياء مررنا بها مرة بعد مرة.. أهذا ما كنت ستقولية؟

ردت من بين أسنانها:

- أجل.. و..

- ماذا إذن تظني إنني كنت أحمل هذا لبضعة أيام.

وقف يفتش في جيب سترته وأخرج علبة وضعها بحدة على الطاولة:

- إفتحيها.

إنفرجت شفتاها.. كانت علبة مخملية سوداء دون أي خطأ، علبة خاتم. حين فتحتها بأصابع مرتجفة وجدت خاتماً الماسيا يلمع كالنار على الحرير الأسود.. وقال بعد أن رفعت له عينان مذهولتان.

- أترين كيني.. لم أكن أحتاج إليك لتقولي لي إنك لست ما تدعي. لا تسأليني لماذا.. لكنني كنت أجد صعوبة في التصديق.. أوه.. لا زلت أظن أن هناك شيئا.. لكنني لا أهتم أبدا بما كنت لأي شخص آخر... ما يهمني هو ما انت بالنسبة لي.. واذا كانت هذه الطريق الوحيدة للحصول عليك، إذا كان هذا هو الثمن، فليكن.. ما رأيك بأخلاقي الآن آنسة

رانكيز؟

همست:

- لا أصدق.

وقفزت واقفة توقع كوب عصيرها.

- تتهمني بأحكام متسرعه.. أجل.. فعلت هذا، مع مساعدة خبيثة منك طوال الوقت.. لكن أكنت أفضل مني؟ على الأقل غيرت أنا رأي، بينما أنت لا زلت متمسك بقناعة لا تهتز بأننا لا مكان لنا نذهب إليه من هنا.. وإذا كان هذا الخاتم، لا يفتح لنا الطريق، بالرغم من انشغال بالك المسبق بالزواج.. ما الذي يلزمك لتكوني صادقة؟ لتقولي السبب الحقيقي وراء كل هذا.. اخبريني كيني.. لأنني فقدت كل قدرة على التفكير.

استدارت تواجهه وعيناها كنار زرقاء:

- حسن جدا.. سأقول لك.. قد لا أكون عاهرة..

لكنني دون خبرة.. وخبرتي تقول لي انني سأتألم معك.. أنا لست محضرة في بنيتي للهوى العابر.. لذلك أجل، أنا مشغولة الفكر بنوع من المستقبل..

- هوى عابر.. لا اذكر انني كنت اكثر جدية في حياتي أتظني أنني إشتريت خواتم خطوبه لكل فتاة أعرفها؟

- لكنك تعتقد أن علاقة فعلية بيننا ستحل كل مشاكلنا.. قد تحل

www.elromancia.com

مشكلتك.. لكنها لن تحل مشكلتي..والآن تظن مجرد إبراز هذا الخاتم سيحل المشكلة لا.. لن يحلها.. فهناك أشياء كثيرة..

أمسك معصمها يشدها لتواجهه:

- حسن جدا.. حسن جدا.. لنأخذ شيئا واحداً في وقت واحد.. إذن القضية ليست حب شخص لا يمكنك الحصول عليه؟ فلنضع السؤال هكذا: ليس هناك رجل آخر في حياتك؟

إرتجفت شفتاها:

- لا.

- إذن هي قضية.. نقص إيمان وثقه في الجنس الآخر: بكلمات اخرى، جرحت كرامتك في مكان ما من سيرة حياتك.. كيني.

تقوست كتفاها.

- نعم.. لكن الأمر ليس بهذه البساطة.

- أخبريني إذن.

- لا أظن إنني ما تحتاجه.. أيب.

- أمر غريب.. كم عدد الناس الذين يعرفون على ما يبدو ما احتاجه أكثر مني.. لكنني في الواقع أعرف إنني احتاجك أنت، وكثيرا جدا كيني.

- تحاجني بطريقه ما.. أجل.. لكن..

- توقفي، دعينا نلتزم بأمر واحد في وقت واحد.. أليس لك حاجاتك

الخاصة؟

آلمتها حنجرتها، وثقل جفناها، لكنها كانت تعلم أن لا جدوى من الكذب:

- أجل.

ترك معصميها، وأمسك بوجهها.

- أنظري إليّ.. وقولي لي إنك تريديني كيني... للأفضل أو الأسوأ... فلتكن هناك على الأقل حقيقة واحدة بيننا.

همست:

- أنا.. أريدك.. أيب.. لكن..

- لا.. لا تفسري هذا.

إحمر وجهها:

- أعني أنني مستعدة لأي شيء... لكنني لا أستطيع أن أتزوجك.

أبتسم.

- وهل تقترحين أن تصبحي... عشيقتي.

إزداد إحمرار وجهها.

- لا.. لن أفضل هذا.. لكن.. هذه أمور تأخذ وقتها.. أو هذا ما يجب.

- حسن جدا.. هذه بداية على الأقل.

www.elromancia.com

وإنحنى يقبلها. ثم أعطاها كوباً آخر من العصير وجلس قربها، يضع يده على يدها:

- لدي أخبار جيدة اليوم.

إرتشف قليلاً من العصير، وأكمل:

- قضية ذلك اليوم ناجحة.. لم نكسبها مئة بالمئة لكن التعويضات ضخمة.

- أوه آيب.. أنا مسرورة جدا.. لك وللزبون.

- وأنا مسرور كذلك.. أخبريني كيف تسيرين في كتابك.

- على ما يرام لكنني احس وكأنني إدفع صخراً صعوداً إلى التل...

إبتسم بخبث:

- عظيم.. أتعلمين... أنت لم تتلمسيني بعد بإرادتك.

- لكنني رقصت معك.

- هذا أمر مختلف.. وأنا من كان يقوم بكل الجهد حتى الآن.. لكنني أؤمن بالمساواة في هذا.

همست تضع كوبها من يدها:

- لا.. لا يجب.. هذا يجلب للنساء سمعة سيئة. على كل حال ليس كبداية... مما تعني أولا...

- وعانقها ثم قال:

كنت أحاول.

- أعرف.. والآن جاء دوري.

ودست ذراعها حول عنقه وضمت جسدها إليه، باستسلام كامل تفكر إنه هو من قام بكل السعي حتى الآن، وهي من قاتلت في المعركة كما لم تقاتل من قبل ليس فقط ضده بل ضد نفسهاأيضا. معركة قادتها بشكل غريب ضد السعادة.. فهذا الرجل يفعل بها أشياء، لم يفعلها بها رجل آخر.. عذاب ناري الاحساس بيديه عليها ولو عبر الملابس، والتوق لأن تتحرر منها.. الاحساس بكتفيه تحت يديها.. لكن ما أحست به كان أكثر من هذا... كان معرفة أن هذا هو آيب غرايدي، الصعب المراس أحيانا.. الرجل الذي ملأ أحلام يقظتها لما يبدو الآن وقتا طويلا، وجرد أحاسيسها من دفاعاتها لتصل إلى هذا النوع من الإستسلام، الذي لم تعد قادرة على السيطرة عليه.. لماذا هو؟ وأحست بالألم.. كيف يمكن أن يحدث هذا..؟

ربما كان صدى لفكره، وتوطئه لفكرة جديدة جعلها تبتعد عن الرجل الذي قد لا يكون لها.. وبدأت الإرتفاعات التي وصلت إليها تنخفض، فجلست تحك بعنقها وبدأت تبتعد. فقال بخشونة يجذبها الى ذراعيه:

- كيني.. ماذا جرى؟ إلى أين أنت ذاهبة؟

- أنا.. أنا.. لكنها لم تستطع الكلام.

- هل آلمتك؟

www.elromancia.com

- لا.. لا!

لم يسأل عن مزيد من الأسباب، وأمسكها بين ذراعيه يملس شعرها دفئت وإرتاحت مجدداً. وإرتجفت ثانية، فشد جسدها يهدئه.

كان الصباح باكراً حين استيقظت.. كان يجلس الى حافة السرير، مرتدياً ملابس رسميه حليق الذقن، مع أن عيناه مظللتان بالتعب.. وقال وهي تجفل جالسة وعيناها متسعتان:

- لا بأس عليك.. لا داعي للإجفال هكذا.

- أنا.. كم الوقت الآن؟

- مبكر جداً.. لكن لدي عمل كثير اليوم.. هل أنت على ما يرام؟

- أجل.

وضع يده تحت ذقنها ورفع رأسها.

- كيني.. لقد تأخرت.. أتتناولين العشاء معي الليلة؟

- هنا؟

- لا.. سأخذك إلى منطقة محايدة وستخبرني ما الذي كان خاطئا بيننا ليلة أمس.. لكن إبقي هنا وأرتاحي قدر ما تشائين.. سأحضر لآخذك في السابعة مساء.

وخرج.. لتسمع محرك سيارته بعد قليل.

لم تعد مارج إلى البيت قبل السابعة.. نظرة واحدة إلى كيني ترتدي

الفستان الأزرق النظيف المماثل في لونه للون عينيها، ولآليء أمها، وقالت:

- لقد حصل!

إحمرّ وجه كيني:

- لا أعرف كيف علمتي.. لكن.. نعم.

- أعرف من لمعان عينيك حبيبتي. ماذا..

لكن جرس الباب رن.. فقالت كيني:

- إنه هو.. سامحيني.. لكنني..

- لا.. لن تخرجي، إبقي هنا.. فسأدعوه وأعرض عليه فنجان قهوة.

-مارج.

لكن مارج رفعت رأسها واتهجت إلى الباب.

لحقت بها كيني متأوهة.

- سيد غريدي.. لقد إلتقينا من قبل! أنا مارغريت دارسي.. عمة كيني.. لست أدري إذا كانت أخبرتك عني أم لا. لكنني أعتقد أن علي تحمل بعض الملامة لسوء التفاهم الذي ظهر بينكما.. تفضل بالدخول!

قالت كيني:

- لقد شرحت له هذا مارج.. لا داعي.. تمتم آيب:

- لكنني مسرور بمقابلة عمتك كيني، ومسرور بمقابلتك ثانية سيدة

www.elromancia.com

دارسي.. بالطبع كانت كيني في حفلتك الخيرية!. وهذا أمر لم تشرحه لي..

إبتسمت مارج:

- لقد توسلت إليها لتحضرها كي يكون العدد مزدوجاً.. ولم يكن لها فكرة أن شريكها سيفعل ما فعل.. كان الأمر مضحكاً في الواقع.. تفضل واشرب فنجان قهوة.

قادته إلى الصالون:

- على فكرة.. هناك شيء أقوله لك كيني.. وأظنه سيثير إهتمامك أيضاً آيب.. هل لي أن أدعوك هكذا؟ لقد بت هذا المنزل!

- ٨ -

لن أعيش دونك!

كان آيب أكثر طواعية خلال العشاء.. كان ساحراً ومثيراً للإهتمام، وأخبرها المزيد عن إخوانه وأبنائهن..

لكن وهما عائدان إلى المنزل، كان صامتاً، حين توقف إلتفت إليها، ولم يكن في عينيه إبتسام، بل سؤال. فإرتجفت وضمت يديها في حجرها:

- لمجرد الفضول: ماذا تظن العجوز في الجهه الأخرى من الشارع تفكر الآن؟

دخلا معا إلى منزله، وأقفل الباب الأمامي وأخذها بين ذراعيه.. فالتوى فم كيني بإبتسامة وهي تنظر إلى عينيه:

- السماء وحدها تعرف ما تفكر به.

- وهل لديك فكرة عما أفكر أنا به؟

- قليلاً.. لكن بإمكانك القول لي.

www.elromancia.com

- أنكر أنني قد لا أصل غرفة النوم، وعليك تنفيذ ما أقترحته يوما في غرفة الصالون.

- ذلك لم يكن صحيحا.. وأنا أكون أكثر سعادة في الفراش.

- أنت تضحكين علي.. ولا أظن أنني أصدقك.

قالت مقطوعه الأنفاس وهو يشدها إليه.

- حسن.. أنا أضحك عليك. لكن.. ضحك:

- تعالي إذن.

نوبة ضحك مفاجئة، كانت قربة من الدموع، هزتها، فدفنت رأسها في كتفه..

ابعدها عنه، ولامس وجهها محدقاً بعينيها ثم تمتم بصوت منخفض بشيء لم تفهمه، وأخذ يدلك كتفيها إلى أن إسترخت.

لم يقل شيئا، بينما أخذ خديها يحمران مرة أخرى، وأصابعها ترتجف.

- لا أستطيع تحمل الكثير.. مرة واحدة.

- كيني.. تعالي هنا.

تقدمت إليه، ومد يده ليجالسها على الأريكة.

- أنا آسف على كل ما جرى.. لكن دافعي كان غرور الرجال وكذلك كان المقياس لما يمكنك أن تفعليه بي.. لكنني أعدك أن تكوني آمنة.. لأنني فجأة أحس أنني منيع ضدك.. وهذا ما تريدين، وهذا ما ستحصلين

عليه.. إذهبي الآن وأصنعي لنا الشاي.

حصرت كيني الشاي ووضعته على صينية.. وأخذته إلى الصالون.. وهما يشربانه نظرت إليه.. فقال:

- تعالي إلى قربي.

فإقتربت فأمسك يدها وهي تدنو نفسها إلى ظهر الأريكة.. ثم قالت:

- لن أتنقل للسكن معك آيب.

- لكن عمتك باعت المنزل؟

- أعرف.. لكن هناك مهلة شهر للتسليم.. وسأبقى معها حتى إنتهاء المدة.

- وبعدها.

استدارت إليه بإلحاح.

- ألا يمكن أن تأخذ الأمور يوما بيوم آيب؟

ظلته تنهد وقال بجفاء:

- حسن جداً.. سيعقد هذا الأمور.. لكن فليكن.

- الأمور قد تبقى معقدة دائما.. وبالنسبة لنا.

- لا تصدقي هذا.. على كل الأحوال لنرجيء البحث بالموضوع إلى ما بعد ولنتمتع بسهرتنا.

حوالي الحادية عشر إلا ربعاً عادت إلى منزل عمتها، ووقفت لحظات

www.elromancia.com

تبكي على الباب الأمامي.

نزلت مارج من الطابق العلوي ووقفت:

- كيني.. أهذا أنت؟ تعالي إلى المطبخ.. تبدين بحاجة إلى فنجان قهوة قوي.. أو أي شيء يعيد إليك حيويتك!

دفنت كيني يديها حول فنجان القهوة.

محمرة الوجه، فجلست مارج قبالتها:

- حبيبتي.. لا تشعري بالحرج، كلانا من النساء وأنا خبيرة أكثر منك.. ما المشكلة؟ هل يحاول أن يتلاعب معك؟

- لا.. أتمنى أن لا.. إنه.. طلب مني أن أتزوجه مع إنه سحب طلبه في الوقت الحاضر.. وطلب مني ألعيش معه.. ولم يبدو مهتماً بواقع أنني قد أكون زوجة غير نافعه، كما إنه متوتر الفكر جول إنه من الصعب العيش معه.. وأنا.. خائفة أن يكون ما أشعر به حالياً.. وهو مجرد..

- حراره مؤقتة.

- شيء من هذا.. وإذا كنت أشعر بهذا الآن فكيف سأقول له يوما لا خاصة إذا تزوجنا.

- قد لا تضطري لقول لا، أو لا تريدي أن تقوليها.

- هذا مستحيل.

- الكثير من الزيجات الناجحه فيها درجة محددة من العدائية.

بدا المرح على كيني:

- صحيح؟

- هناك فرق بين العدائية الصحية والعدائية المدمرة... أنا مثلا أتمتع بشجار جيد وصلح جيد بعده. والرجال يستخدمون قوانينهم مع النساء.. وبما إنه يقاتلك بقذارة فهذا يعني إنك تؤثرين عليه.

أصدرت صوت ازدراء واتجهت إلى الطاولة تأخذ البريد الذي لم تلمسه منذ أيام.. وحدقت بقلق كبير للحظات مقطبة، فسألتها مارج.

- ما الأمر.

- لا شيء.

وفتحته. كان يحتوي رسالة وبطاقة سفر.. قرأته ثم قالت مذهولة:

- يا إلهي إنه من خوسيه روميرز.. درسنا معا في جامعة لندن.. إنه برتغالي، وأصبح الآن استاذا في جامعة بلاده، ويدعوني إلى مؤتمر اوروبي سينعقد في بروكسل.. كل المصاريف مدفوعة و... آسف للدعوة المتأخرة.. لكن أحد أفراد البعثة إعتذر، ويريدني أن آخذ مكانه.. ويعرض كل مساعدة لأحضر نفسي في هذه المسافة القصيرة.

ورفعت عيناها إلى مارج، التي قالت بهدوء:

- هذا بكل تأكيد سيلهيه.. هل ستذهبي؟

- لست أدري.

www.elromancia.com

طوال الأسبوع، لم يعتذر آيب على تصرفه معها في آخر لقاء لهما ولا أشار إلى شيء، لكن كانت فترة فاصلة من السلام والحب، لم يخرجا خلالها إلى أي مكان. ومرت أيام في تجانس ووئام بيتي، وبنجاح كامل.

شيء واحد لم تفعله: لم تخبره بالمؤتمر الأوروبي مع إنها حاولت أكثر من مرة، وأرادته أن يشاركها إحساسها بالإثارة بهذا الإعتراف بقيمتها العلمية ربما السبب إنه لا يذكر عمله أمامها أبدا.. أو ربما إنها لا تريد أن يشوب عطلة الأسبوع معا أي مشكلة قد تزعج هدوئهما.

لكن، صباح الإثنين، وهي تتحضر للذهاب إلى منزل عمتها، قال لها، وهو يلتقط ربطة عنقه ونظر إلى نفسه في المرآة.

- أخشى أن أكون مشغولا جدا هذا الأسبوع.

- وأنا كذلك.

- قولي لي.. ما الذي سيشغلك هذا الأسبوع.

- نفس الأشياء القديمة.

- وهل سيتدخل هذا في حياتنا؟

- سأفكر بالأمر.

وفكرت بهذا طوال الأسبوع التالي.. فكرت بالإنتقال للسكن معه، لكن لوقت قصير قبل أن تطير إلى البرتغال للإنضمام إلى الوفد الجامعي.. وفكرت أن لا تذهب، مع إنها أرسلت قبولها.. حتى إنها فكرت أن

تطلب منه السفر معها.. لكن الوقت كان ينفذ.. ومر يوم الجمعة، ثم السبت، ولا كلمة منه. ولم تكن سيارته موجودة خلال النهار.. لكن ماذا قالت أمه؟ يجب أن تتحضري لأخذ مقعد خلفي في حياته.. وماذا قال هو نفسه؟ على الأقل يمكننا الحديث وتناول الطعام معا.. لكن متى؟ وكيف يمكن لي أن أكيف حياتي في حياته هكذا؟

لكن سيارته كانت هناك صباح الأحد وعرفت إنها لم تعد تستطيع الجلوس والإنتظار.

جمعها بين ذراعيه عند عتبة الباب، ودفن وجهه في شعرها، وقال:

- آسف.. لكن كان عندي اسبوع كالجحيم. أدخلي.

- ألا زلت قلقاً على سمعة الجوار؟

رفع رأسه ضاحكا.

- أتصور إنهم لم يتمتعوا بأنفسهم هكذا منذ سنوات.

- أخذها إلى المطبخ قائلاً:

- قهوة كما أظن.. هل جئت توبخيني لإهمالي لك؟ لن ألومك، لكنني أضطر إلى السفر إلى ليفربول في قضية هامة لأحد الزملاء بعد أن نقل مريضاً إلى المستشفى فجأة.. ولأنه طالما اسدى إلى المعروف أخذ عنه كل قضاياه الهامة طوال الأسبوع. قالت بهدوء:

- سأصنع القهوة.. أجلس.

www.elromancia.com

جلس على كرسي ووضع قدميه ألحافيتين على كرسي آخر، وشبك يديه خلف رأسه..

- حاولت الإتصال بك عدة مرات لكن.. أظن ما فعلته كان أنانيا.. آسف. أمرك غريب كيني. ترفضين الزواج بي، السكن معي، مع ذلك ها أنت وكأنك زوجتي.. واجد هذا غريباً.

- لا.. فهذا علامة بكيف يمكن أن تتصادم حياتنا معا. وكيف يمكن أن تتصادم معا في النهاية هذا إذا رأينا بعضنا كثيراً.

- حسن جدا فلنناقش الأمر. أحياناً أفكر بك من دوني.. وأقلق عليك.. أيمكن أن تشرحي لي هذا التناقض.

لم تحاول، فليست مشكلة مستقبلهما العملي ما يقلقها الآن، ولا أن تعتمد عليه في أن يعيلها.. وتعرف أن السخرية الواضحة التي لا تصدق في كل هذا إنها تريد زواجا تقليدياً معه لأنها تحبه بشكل عاجز.. الأمر بهذه البساطة وهذا التعقيد معا.

قالت تمسح دمعة:

- آيب أنا مسافرة مجدداً.

- هكذا دون مقدمات؟

صبت القهوة مرتجفة عيناه لم تتركا وجهها أبدا.. وأكمل:

- انت مليئة بالمفاجئات كيني.

- أعرف إنه كان يجب أن أقول لك قبل الآن.. لكن.

- إذن، كنت تعرفين منذ مدة؟

عضت شفتها:

- ليس كثيراً..

- لكن.. نهاية الأسبوع مثلاً؟

- أجل..

- إذن.. هذا فراق بيني وبينك.. كان يجب أن تقولي لي كيني..

وقف بشيء من الشرّ في عينيه، مما جعلها تتراجع:

- قد يكون فراق بالنسبة لك عزيزتي، لكنه ليس هكذا بالنسبة لي.

شهقت:

- لا.. آيب.. ماذا تفعل..

لم يرد بل حملها إلى فوق ولم يعلق سوى:

- تبدين أخف وزنا من آخر مرة حملتك بها.

في الواقع كانت كل أحاسيسها تصرخ مطالبة به.

وأخذت تتحرك وتصرخ، والأحاسيس تنفجر داخلها تطالبها بأن تعطي حتى آخر ذرة من كيانها.

أخيراً أبتعد، لا تزال أنفاسه متقطعة غير سويّة.. وقال بصوت أجش:

www.elromancia.com

- لا أستطيع إلا أن أتساءل عما إذا كان الخداع الذي مارسته عليّ في الأسابيع الأولى من معرفتنا لم يكن صورة غير واعية لرغباتك.. فأنت حساسة جدا.. جدا.

إتسعت عيناها صدمة لرؤيتها السخرية في عينيه، ونهضت تسوي ثيابها.. ولم يتحرك لمنعها حين إنتهت، إستدار يضع يده تحت الوسادة ويغمض عينيه.. نظرت إليه ثم إستدارت مبتعدة.

بعد شهر من هذا، نزلت كيني من الباص قرب الشاطيء في سينوبال، الألبانية، وتقدمت إلى مطعم هناك... حيث يستطيع المرء الجلوس على الشرفة مع شراب بارد ويتطلع إلى مياه المحيط الأطلسي المتلألئة، ويراقب الناس على الشواطيء الذهبية. كان هناك مجموعات من سياح مختلفين، لوحتهم الشمس، في منتجعين قريبين على الشاطيء، البعض الأخر يجتمع حول محلات بيع الأنتيكات، خاصة المشغولة باليد، السلال الغربية الملونة، القماش المبهرج كلها معروضة في محلات عتيقة أثرية تزيد من جاذبيتها.

عبر الشارع كان هناك منتجع، فندق عند الشاطيء مباشرة، حيث أمضت آخر أسبوع لها بعد عودتها مع البعثة من مؤتمر بروكسل. ولم يبق لها سوى ليلة واحدة لتعود إلى لندن.. ستتجه اولا إلى ليشبونا، ثم باريس وبعدها مباشرة إلى لندن. وغابت الشمس من فوق المحيط وهي تجمع أفكارها المؤلمة التي أبت أن تتركها طوال الشهر الذي أمضته بعيداً.

وجمعت مشترياتها القليلة ثم اتجهت إلى الفندق.

- آه... آنسة رانكيز.. هل تمتعت بالتجوال في المدينة العتيقة؟

- كثيراً.. شكراً لك.. وسأكون آسفة جداً لتركك في الغد.

- وسنكون آسفين لخسارتك.. هناك سيد يبحث عنك..

- آوه.. لا بد إنه الدكتور روميريز.

استدارت كيني لتذهل برؤية آيب يتقدم عبر البهو نحوها. كان في سروال كاكي خفيف وقميص مفتوح الياقة وسترة خفيفة على كتفيه.. آيب بشعره الأسود، المتأرجح على جبينه، يتحرك بسهولة، ورشاقة، كل إمرأة كانت في البهو إستدارت نحوه.. وقال المدير:

- من دواعي سروري أستاذ غرايدي.. لقد حجزت لك في المطعم للساعة الثامنة.

- شكرا.. كيف حالك كيني؟

لكن كيني لم تستطع الكلام.. في الواقع أحست بساقيها وكأنهما غير قادرين على حملها.. وأمسك يدها ليقول بصوت بالكاد يسمع:

- لا تنظري إليّ هكذا.. فلنخرج من هنا.

غرفته كانت في الطابق الرابع، أحد أفضل الأجنحة.. ومع إنها لم تكن راغبة في الذهاب معه فقد وجدت نفسها في وضع لا تستطيع فعل شيء.. حين أقفل الباب، ووقفت في منتصف الغرفة، ثم تقدم ليفتح باب

www.elromancia.com

لشرفة العريض، وبلتفت إليها، تمتمت بصوت متهدج:

- لا.. آيب.. لا تلمسني.

وبدأت ترتجف كمن أصابها الحمى.

قال:

- إجلسي.. سآتيك بشراب بارد.

جلست، ترفع رأسها إلى السقف، وتتنفس بعمق، مرات ومرات، تركز نظرها على الرسوم الجميلة التي تزين السقف، أو أي شيء يمكن أن يصرف عنها هذه النوبة من تعقد الأعصاب.

- هاك.

ووضع في يدها كأس شراب مثلج، وتمتمت:

- شكراً.. شكراً.

- إشربيه.

وشربت، أسنانها تصطك على الزجاج.. ثم أحست إنها بدأت تهدأ، فإرتشفت المزيد.. تتنفس بعمق، ثم وضعت الكوب من يدها:

- آسفه.. لست أدري ما جرى لي.. لماذا أنت هنا؟ أم إنها صدفة غريبة مذهلة.. لا.. لأظنها كذلك.

- لا.. فعمتك أخبرتني أين أنت قبل أن تسافري..

وها أنا ذا.. لأنني إكتشفت أني غير قادر على العيش من دونك.

- ما تحتاجه آيب، مهرج تستطيع إهانته على الدوام، ويبقى مبتسماً.. أم إنك تحتاج إلى إمرأة محترفة، فأنا أعتقد أن إمرأة تقبض أجرها فقط يمكن أن تتحمل عدوانيتك.

- كلامك في محله.. لكن الغريب إنني لم أشعر يوما بإندفاع لأكون عدوانيا مع نساء غيرك. ولا بد أن هذا يعني شيئا.. ولا أقول أن هذا عذراً. أخبريني.. ماذا أحسست منذ تركتني؟

نفخت أنفها في منديلها:

- هذا من شأني.

- تبدين كلك عيون نحيلة متعبة شعرك مبعثر أظافرك مقصرة، ولا ترتدين ملابس أنيقة.. ألا يهمك أبداً ما أشعر به.. وكم أريدك؟

همست:

- لا بد.. يجب أن.. أنت لا..

- أنا بارع في إخفاء مشاعري.. والحقيقة إنك لو ظننتي إنني كنت عدائيا معك فلأن الأمر أصبح عادة.. حتى أمي قالت لي أنني نذل حين كلمتها آخر مرة.. قالت بالضبط أنني نذل من الدرجة الأولى.

- آيب...

- لا.. دعيني أنهي كلامي.. على الأقل دعيني مرة واحدة أترافع عن قضيتي.. كل إمرأة عرفتها أنت تريد شيئا واحدا مني.. خاتم في إصبعها..

www.elromancia.com

وهذا له علاقة بما أملك، أكثر مما له علاقة بما أنا عليه.. حتى أنني لم أعد أفهم كيف سينجح زواج تقليدي بالنسبة لي.. لكن معك، حدث العكس.. حين عرضت عليك الزواج.. فعلت هذا لأنني..

صمت قليلا وهز كتفيه ثم أكمل:

- كان هناك شيء لا يمكن تجنبه حولك.. لم أستطيع، تصور انني قادر على تركك.. ولا أزال لا أستطيع، ولهذا جئت إلى هنا.. وما أقوله هو أنني لوأردت زوجة مربوطة بمغسلة المطبخ فترعاني، وتحس بالألم والهجران كلما إضطررت للإبتعاد، لكنت قادراً على الأختيار من بين عشرات.

وكشّر وجهه، فلم تستطع كيني إلا أن تبتسم وأكمل:

- من ناحية أخرى، الاتظني لأننا متشابهان في كثير من الأوجه، يمكننا على الاقل فهم مشاكل بعضنا البعض، وإيجاد طريقة للتعامل مع هذه المشاكل؟

تنهدت وأطرقت تنظر إلى يديها.

- آيب.. هناك شيء لا تعرفه.. أنا.. لقد إكتشفت أنني لا أختلف عن غيري من النساء. وإنني سأشعر بالألم إذا أهملتني أو لم تكن موجودا تنتظرني.. وأنني إمرأة تقليدية كغيري.

نظر أليها:

- أتقولين..؟

وقفت بإرتباك فأمسك بها يديرها إليه:

- كيني.. أخبريني.

- وماذا أخبرك مما لا تعرفه.. قلت لي إنك تقلق لأجلي.. وكنت على حق في قلقك.. لأنني من دونك.. لكن، هذا هو العمل الذي كنت تتجنبه منذ سنوات.

تمتم شاتما من بين أسنانه، وأمسك كتفيها.

- ما قلته كان.. كنت تبدين مقتنعة إننا لن ننجح بسبب نمط حياتنا.. بسبب أستقلاليتك وما تعنيه لك.. لذلك قلت هذا.. لكنه...

- لكن ما تقوله أسوأ بكثير.. ألا ترى؟

- لا.. أوه.. لا.. إذا كنت تقولين لي انك تحبيني، اذا اكتشفت ما في قلبك أخيرا كيني.. فهذا يضع تعقيدا مختلفا على الأمور كلها. وأعتقد أن عليك قول المزيد لي.

إرتجفت:

- لكنك تعرف...

إلتوت شفتاه.

- كنت آمل.. أجل.. أقنعت نفسي أن هذا لا بد منه.. لكن حين رحلت..

www.elromancia.com

مسح دموعها بإصبعه وأكمل.

.... كل الشكوك القديمة، كل الريبة التي أصبحت طريقة لحياتي منذ التقيتك، عادت لتعذبني.. لكنني أحببتك كثيراً عزيزتي.. والأمر الواقع، ولنكن صادقين، حين لا أجدك تنظرين، لا شيء يعمل.. قلت لي مرة شيء عن الجحيم في العيش معي.. وهذا ما كان بالنسبة لي.. كنت أعيش الجحيم، وإذا وجد إثنان أن الجحيم هو في الفراق.. فلا بد أن يجدا طريقة للعودة معا.. قولي لي أن الأمر لم يكن هكذا لك.

بيأس قالت:

- أوه آيب.. أليس لديك فكرة كم آلمتني؟ شدها ما بين ذراعيه.

- أجل.. لكن ألا ترين، الخوف من فقدانك كان السبب دائماً.. كيني.. قد يكون هناك شيء لا يمكن أن يتغير في شخصيتين، ولن يتغير أبدا..

الواقع الصريح البسيط هو أنني وقعت في حبك.. منذ لحظة وقعت عيناي عليك.

دليل صغير على شبه إبتسامة إرتجف على زوايا شفتيها:

- وماذا ستفعل؟

تنهد:

- شيء ما قلته إخترق طريقه إليك ما هو؟ إبتسمت بالفعل عبر الدموع:

- أظنه السأم في عملك وبدا لي هذا إمتحان حقيقي.

كشّر وجهه:

- إذن.. هل تقولين لي إنك صدقت أنني أحبك؟

- أجل.. وأصدق كذلك إنك ستتسلط عليّ بشكل أحيانا، وتجعل حياتي بائسة ولكن.. تنهد بإرتجاف.. فأكملت.

- لكنني أحبك أيضا.

- قلت لتوك ماذا سنفعل، والأمر عائد لك.. لقد أخذت عطلة سنة.. وظننت إنها يمكن أن نعزل نفسينا في أماكن بعيده حيث تتابعين دراستك وإكمال كتابة أطروحتك، وبالتالي أستطيع ممارسة المحاماة. هل فكرت يوما إننا قد نكون فريقا جيداً في تقديم العون لمن يحتاجه من مساكين العالم بطريقة ما؟

حبست أنفاسها:

- سنة كاملة؟ ماذا لو..

- قلت لك.. من دونك لن أنجح بشيء..

- أنت جاد آيب؟

- هاي.. كيف أثبت لك هذا؟

لكنه لم يكن بحاجة ليثبت شيئاً.

فيما بعد وهما جالسان في حال تخدير أعصاب معا، لامس وجهها

www.elromancia.com

سابعه:

- أتعلمين.. لقد أقسمت أن لا أطلب يدك مرة ثانية.

حركت خدها على راحة يده:

- هناك طريقة للإلتفاف على القسم.

- كيف؟

- أطلب يدك أنا.

- ولماذا لا تفعلي؟

- يجب أن أتأكد أولا من موافقتك.

- آيب.. هل تتزوجني؟

رد بوقار.

- بما أنني أعاني من آثار الهجران آنسة رانكيز، أظنني سأوافق.

- أوه..! هذا ليس لبقاً.. أظنني مضطرة إلى طلب يدك بطريقة مناسبة أكثر وفي مكان أكثر شاعرية.

قبل أنفها، وقال ببساطة:

- أي مكان معك هو شاعري.

- ومتى سترد على طلبي.. فزواجنا سيكون زواج عقول إضافة إلى...

- إلى ماذا؟

شهقت:

- أنت مستحيل آيب..!

- حسنا.. ما رأيك بهذا الرد؟ أجل أقبل الزواج منك كيبي.. لأنني أحبك.

إسترخت.

- أقلقتني للحظات.

- لقد قررت إنني لوحصلت عليك فسأجعلك سجينة أكثر مما كان مفترضا بمارك..

- مع كل ما قلته؟

- أنظري ما فعلته بي!

- ماذا؟

- شيء مدجّن، عريس فخور، مخبول العقل مترقب.

- أظنني لن أصدق مسألة المدجّن هذه حتى أرى!

ولفت ذراعيها على عنقه.. فقال لها:

- أتعرفين ما سأفعله الآن.. سأتصل بمدير الفندق لينقلنا إلى غرفة فيها حمام فوار مثل الذي في منزل عـ تك، وبالطبع غرفة عشاء.. لا بد أن لديهم مثلها هنا.

- آيب..

- لا تتساءلي عن أي شيء بعد.. أوافقك على أي شيء.. ولا

www.elromancia.com

تتركيني. ثانية.. فعدا عن أي شيء آخر.. لقد منعتيني عن أية إمرأة أخرى.. أتحبيني؟

إرتجفت، وتغير لون عينيها.

- أوه.. أجل.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة